

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر - باتنة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

القيمة الحجاجية لأسلوب التوكيد في الخطاب القرآني
-دراسة تطبيقية في سور الحواميم-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللسانيات العامة

إشراف الدكتور:
الجودي مرداسي

إعداد الطالبة:
عبايدة صورية

السنة الجامعية: 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر - باتنة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

القيمة الحجاجية لأسلوب التوكيد في الخطاب القرآني
—دراسة تطبيقية في سور الحواميم—

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في اللسانيات العامة

إشراف الدكتور:
الجودي مرداسي

إعداد الطالبة:
عبايدية صورية

أعضاء لجنة المناقشة :

الصفة	الجامعة	الدرجة العلمية	المناقش
رئيساً	جامعة باتنة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/بلقاسم دفة
مشرفاً ومقرراً	جامعة باتنة	أستاذ محاضر	د/الجودي مرداسي
عضواً مناقشا	جامعة باتنة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/محمد بوعمامة
عضواً مناقشا	جامعة خنشلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د/صالح خديش

السنة الجامعية: 1433 - 1434 هـ / 2012 - 2013 م



شكر وعرفان

❖ الحمد والشكر لله أن شرح صدري وهداني لدراسة القرآن، وأعاني على تذوق براعة نسجه وجلال غايته.

❖ والشكر الجزيل لكل أستاذ علّمني حرفاً، وفي مقدمتهم أستاذي المشرف ؛ الدكتور المتواضع: الجودي مرداسي.

الإهداء

✓ إلى من قرن البارئ بين عبادته والإحسان إليهما ... والذي
الكريمين .

✓ إلى زوجي العزيز ... شريك حياتي.

✓ إلى لؤلؤتي بيتي: مارياورحمة.

✓ إلى من جلست متعلّمة بين أيديهم صغيرة ولا زلت أحتاج
علمهم كبيرة ... أساتذتي الكرام .

✓ إلى لغتي ... العفو منك، فقد قصّرنا في حقك، ولا زلنا نبدو
صغاراً صغاراً ونحو نواجه سحرك .

♣ أهدي هذه الشمرة

مقدمة

مقدمة:

اللغة كائن اجتماعي حيّ، وارتباطها الوثيق بالمجتمع جعل الدارسين في العصر الحديث يبعدونها عن البنيوية والصرامة اللغوية التي طبعت أبحاث " فرديناند دي سوسير " (F.De Saussure) مع اعترافهم بفضلهم فحاولوا إرجاعها إلى الحقل الذي نبتت فيه، وفي أكنافه نشأت وترعرعت ألا وهو المجتمع. وتمثل اللسانيات التداولية تيارا رائدا تزعم هذه النظرة وحاول ربط اللغة بالاستعمال، وهي نتاج تلاقي تيارات لسانية وفلسفية وحتى نفسية، ويعود الفضل الأكبر في ظهورها إلى أعمال فلاسفة اللغة التحليليين، محاولة إبراز الوظيفة التواصلية للغة التي تعدّ لصيقة بها وملازمة لها منذ الأزل .

ويعدّ " جون أوستين " (John Austin) رائدا في اللسانيات التداولية بتأسيسه نظرية الأفعال الكلامية التي ألقى من خلالها الضوء على جانب مهمّ من عناصر العملية التواصلية وهو الفعل، فالكلام يقوم على نظام شكلي دلالي نواته الأولى التأثير في الآخر، ويتوسّم من جانب آخر إنجاز فعل ما كالطلب والوعد والوعيد وغيرها .

هذا ويقع الحجاج في موقع متميّز من هذا التيار اللساني الحديث، وأصبح اللغويون يولون أهمية كبيرة له انطلاقا من أن التواصل يقوم على مبدأ إقناع المتلقّي بصدق رأي ما أو التأثير فيه وتغيير رأيه وتوجيه اعتقاده ؛ فالعالم اليوم صار حلبة صراع البقاء فيها لمن يملك الحجة الأقوى، والناس بين محاجج ومحاجج، الأستاذ في قسمه والمدير في إدارته والكاتب في صحيفته والأديب بين قرائه، فبالحجة تسقط الدّول وبها تقام واستنادا لها ترسل الجيوش وتساس الرعية .

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن اللغوي الفرنسي " أوزفالد ديكر " (O.Ducrot) من الأوائل

الذين أرسوا دعائمه وفرّق بين الحجاج الفلسفي والحجاج اللغوي، هذا الأخير الذي يقوم على استنباط إمكانات اللغة الطبيعية لتحقيق أهداف إقناعية تأثيرية بعيدا عن الأقيسة المنطقية التي لا يهتم لها اللغوي بقدر ما تهّم الفيلسوف .

ويعدّ أسلوب التوكيد عاملا حجاجيا مهما حاولنا تسليط الضوء عليه في هذه الدراسة مبرزين قيمته الحجاجية إيمانا أنّ هذا المبحث بحاجة إلى قراءة معاصرة تفيد من اتجاهات الدرس الحديث ومناهجه، ومحاولة إبراز عناصر القوة في الدرس اللغوي القديم وكشف كنوزه المخبوءة، ونزعم أننا حصرنا مظاهره وأشكاله ونضدناها بعد جمع شتاتها الذي تفرّق بين مؤلفات البلاغيين والنحاة .

وتحتضن هذه الدراسة سور الحواميم (غافر، فصلت، الشورى، الزحرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف) وتكشف من خلال حجاجية أسلوب التوكيد القليل من أسرار الكلام الذي لن يؤتى بمثله ولو كان الجحّ والإنس بعضهم لبعض ظهيرا، فتمتدّ لتأخذ من القديم زبدته، وتستلهم من الحديث تطوّره ومرونته إذ لا فائدة من النظريات الحديثة ما لم تطوّع مناهجها لخدمة لغة الضّاد وتلمّس جانب من قدرتها الإبداعية المتطورة .

هذا ويرمي البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- دراسة الخطاب القرآني من منظور حجاجي .
- كشف إسهام اللغويين العرب في دراسة أسلوب التوكيد.

- الاطلاع على الدراسات الغربية والعربية في مجال الحجاج والعوامل الحجاجية .

ومن هذا المنطلق جاء عنوان بحثنا موسوماً بـ:

" القيمة الحجاجية لأسلوب التوكيد في الخطاب القرآني " -دراسة تطبيقية في سور

الحواميم -"مجيباً عن الإشكالية المحورية: إلى أي مدى يمكن الحكم على قيمة أسلوب التوكيد

الحجاجية؟

وتتفرّع عنها الإشكاليات الآتية :

- ما أهمّ الدراسات الحجاجية عند الغرب والعرب ؟

- ما أشكال التوكيد التي تناولها اللغويون العرب قدامى ومحدثين ؟

- ما علاقة أسلوب التوكيد بالسياق الذي يرد فيه ؟ وإلى أي مدى يمكن الحكم على قيمته

الحجاجية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات توزّعت الدراسة على ثلاثة فصول:

ولجناها بالقاء نظرة على مفهوم الحجاج، وامتداد جذوره إلى التراث اللغوي والفلسفي اليوناني،

وإرهاصاته في الدرس اللغوي العربي، لنتناول أبرز الأعمال الحجاجية الغربية في العصر الحديث .

أمّا الفصل الثاني، فقد تناولنا فيه مفهوم أسلوب التوكيد وتحليلاته في الدرس النحوي والبلاغي

العربي القديم والحديث، لحصر أشكاله وأنماطه .

أمّا الفصل الثالث، فكان تطبيقياً حاولنا من خلاله إبراز قيمة التوكيد الحجاجية من خلال نماذج

مأخوذة من سور الحواميم .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع المنهج الوصفي معتمدة على الإحصاء، وكثيرا ما يتم اللجوء إلى التأويل استنادا إلى كتب التفسير التي مثلت أهمّ المراجع، ومن بينها: تفسير "ابن كثير"، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور وتفسير الجلالين للواحدي والسيوطي وغيرهم، ولا أنكر فضل مراجع لغويّة حديثة أهمّها كتاب: التحاجج: طبيعته ومجالاته ووظائفه تحت إشراف حمّو النقاري، وكتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته تحت إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، ورسالة الدكتوراه للأستاذة عائشة عبيزة المعنونة بـ: دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في الخطاب القرآني، إلى جانب مراجع أخرى عربيّة وغربيّة اقتضتها طبيعة الموضوع .

ومهما كانت صعوبات البحث ومشاقّه إلّا أنّ التحدّي الأكبر الذي واجهته هو الوقوف أمام المعجزة الكبرى: القرآن الكريم، لاستكناه بعض خصائصه، إنّها متعة لا تضاهي والواحد يتنسم أريج لغة الباري، وعبقريّة لغويّنا القدامى الذين أوسعوها دراسة حتّى صار الباحث لا يمكن أن يغضي الطّرف عمّا توصّلوا إليه من نتائج .

ولا أنسى في الأخير فضل من كانوا عوناً وسندا معنويّاً في هذه الدّراسة وعلى رأسهم، أستاذي المشرف: الجودي مرداسي الذي أفادني بمنهجيّته العلميّة ونصائحه القيّمة .

هذا وما كان من صواب فبتوفيق من الله، وما كان من سهو أو نسيان فمن طبيعة البشر التي لا تصل إلى الكمال .

الفصل الاول:

الحجاج بس الدرس اللغوي العربي والغربي

سعى أبو اللسانيات "فرديناند دي سوسير"¹ (Ferdinand De Saussure) للتقريب بين دراسة اللغة والعلم، ففتح لها النافذة لتتنسّم منهجيته ودقّته فصار تعريفها: « الدّراسة العلميّة للّسان البشريّ »² وانكفأ العلماء بعده فرادى وجماعات مخضعينها لتلك الصّرامة، مطوّعينها للمنهج الوصفي بعد أن وضع لها العلامة " دي سوسير " المعالم وحصر مجالها في:

« أ- وصف تاريخ جميع اللّغات المعروفة ويعني ذلك تتبع تاريخ الأسر اللّغوية وإعادة بناء اللّغة الأمّ لكل أسرة على قدر المستطاع.

ب- تحديد القوى التي تعمل بصورة دائمة وعامّة في جميع اللّغات واستنتاج القواعد العامّة من جميع الظواهر التاريخيّة الخاصّة .

ت- تحديد معالمه وطبيعته. »³

فالتّركيز كان على وصف اللّغة وصفا دقيقا لغاية لغويّة، وإبعاد كل ما هو غير لغوي عن تلك الدّراسة وهو بهذا عبّد الطّريق لمن بعده من أقطاب البنية الذين أغنوا البحث اللّغوي الحديث وأمدّوه بالنّظريات الصّارمة ولكن سرعان ما أثبت الحقل البنيويّ عجزه أمام هذه الظّاهرة الإنسانيّة " اللّغة " لا شيء إلا لأنّه حصر مجاله فيها وقطع السّبل أمام الإحالة إلى خارجها، فكانت الحاجة ملحّة إلى نظريّة أشمل، نظريّة لا تنظر للخطاب كبنية تركيبية مغلقة معزولة عن السّياق بل تفسره من خلال نظريّة الواقع الذي يجسّد إنجازيته، ومنه تمخّضت التّدالويّة.

1 -فرديناند دي سوسير(Ferdinand Disassure) (1857-1913): ولد في جنيف في بيت شريف امتاز فيه أكثر أفراد في العلوم الدقيقة والطبيعية ونشأ على حب العلم

خاصة في مجالي الرياضيات وعلوم اللغة. يعد أب اللسانيات الحديثة، اشتهر من خلال دروسه المجموعة في كتاب: دروس اللسانيات العامة، ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة الجزائر، ط2، 2006، ص: 32.

2 -André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand Colin ,4ème édition, Paris, 1999, P: 6.

3 - Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Editions Talantiki .Bejaïa, 2002 P: 13.

أولاً: مفهوم التداولية:

اتَّجه الدرس اللساني الحديث للعناية بالمقامات التَّواصلية التي ينتج فيها الكلام، لذا زاد الاهتمام بالتداولية بعد أن كانت محالاً مهملاً لأنَّها تنأى عن وصف اللغة، في ذاتها ولحدّ ذاتها، على حدّ تعبير أب اللسانيات "فرديناند دي سوسير" في فضاء يمتح من عدّة ميادين كعلم الاجتماع، علم النفس، وعلوم الاتصال، لذلك فعند محاولتنا الإمساك بمدلول هذا المصطلح نجده هيوّلياً ويتبدّى لنا مترامي الأطراف « إذ يقترن به في اللغة الفرنسية المعنيان التاليان: "محسوس" و"ملائم للحقيقة" أما في الإنكليزية، وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسّسة للتداولية فإن كلمة "pragmatic" تدلّ في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية»¹

إنّ هذا الرّحم الذي تتمتع به التداولية جعلها مفترق طرق لعدة تخصصات وهي ذات أهميّة لأنَّها تلقي الضوء على عدّة قضايا فلسفية مهمّة حدّتها فرانسواز أرمينكو في ست قضايا على النحو الآتي :

«1- الدّاتيّة: فما الذي يتغيّر في مفهوم الفاعل إذن، حين ننظر إليه كمتكلّم، قبل كل شيء وأكثر من هذا كمتحدّث حين نقاربه، لا انطلاقاً من الفكر، بل انطلاقاً من التّواصل؟

2- الغيريّة، ويتمّ الإلمام بالقضيّة التي تخصّ "الآخر" انطلاقاً من المخاطب، فالآخر هو الذي أتكلّم معه، أو لا أتكلّم معه والذي أتموضع معه في مجتمع تواصلية.

3- "الكوجيتو" الديكتاتوري: ف"أفكر" هو تفكير حقيقي في كل مرّة أتلّفظ فيها بذلك. فهو حقيقي من خلال ضرورة تداوليّة كما أن تناقضه خاطئ دائماً تداولياً.

1 - فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، 17.

4- الاستنباط المتعالي للمقولات عند كانط، ويتعلق الأمر بتحصيل القيمة الموضوعية للأنماط الأساسية في تركيب الفكر، إذ أن الاستعمال الموضوعي تنتظمه مبادئ.

ومن هنا تقود وجهة النظر التداولية إلى الأخذ بعين الاعتبار المظهر " اللغوي " المحض لهذا الاستنباط وكذلك المظهر التداولي للوجهة التفاعلية، لما بعد كقضايا كبرى في العالم.

5- و يعبر عن هذا المظهر التفاعلي بطريقة أكثر وضوحا في المناقشات التي تشخص تاريخ العلوم.

6- ويمكن للقيمة التداولية أن توضع في عمق المنطق، إذ يجد هذا المنطق من هنا، مصادره الإغريقية¹

فبحسب "أرمينيكو" مفهوم التداولية شاسع حقله متنوع مجاله: إذ يرتبط من جهة بالاستعمال اللغوي وعلاقة المتكلم بالسامع وعلاقتهما بالسياق ومن جهة أخرى منطلقها فلسفي يكشف الغطاء عن القضايا المعرفية من خلال آثارها العلمية .

ويذكر "جون ديوبو": « أننا نلفي تحت التداولية توجهات جد مختلفة وفي البداية كان موضوعها خصائص الاستعمال اللغوي (الحوافز النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المخاطب، النماذج الاجتماعية للخطاب ...) ولاحقا طوّرت من قبل جون لويس أوستين في دراسته لأفعال الكلام واتّسعت لتشمل نماذج الاستعمال والتلفظ وشروط الصحة والتحليل الحواري² »

1 - فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش مركز الإنماء القومي، د ت، 10.

2- Jean Dubois et autres , Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage ,Larousse , Bordas 1999, 375.

إنّ هذا التطور الذي اعترى موضوعها يجعل تعريفها يتنوّع باختلاف زاوية النّظر المدروسة.

ويحصر خليفة بوجادي تعاريف التّداوليّة في أربعة مجالات هي :

أ- تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التّداولي: والتي تجمع على رصد أصلين لنشأة التفكير

التّداولي :

الأول: تعريف تشارلز موريس لها، إذ عدّها جزء من السّيميائية وأحد مكّوناتّها، تهتمّ بدراسة

العلاقة بين العلامات وبين مستعملها أو مفسّريها (متكلّم، سامع، قارئ، كاتب).

الثّاني: يجعل حقل فلسفة اللّغة العاديّة لدى أوستين وتلميذه سول نواة لتأسيس التّداوليّة.

ب- تعريفات ترتبط بحقل موضوع التّداوليّة ووظيفتها وتهتمّ بجميع شروط الخطاب باعتبار هذا

الآخر إنتاج لغوي متطوّر منظور إليه في علاقته بظروفه المقاميّة وبالوظيفة التّواصلية التي يؤدّيها في هذه الظروف.

ت- تعريفات ترتبط بحقل التّواصل والأداء: تركّز الاهتمام على دراسة العلاقة بين المتكلّم

والسامع بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملابسات وشروط مختلفة وتستند إلى علمي اللّغة النّفسي والاجتماعي.

ث- تعريفات ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى، وبما تشمله من اتجاهات: إذ تعدّ التّداوليّة

امتدادا للسانيّات التّلفّظ ويركّز "دومينيك مانقونو" (D.Maingueneau) على أنّها تميّز أساليب

فهم الخطاب، وتوسّع أكثر عملية التّواصل على نحو يعارض طرائق البنيويّة التي انغمست في النّصّ وأبعدت الكلام، أما "موريس" فقد جعلها أحد ثلاث مكوّنات إلى جانب المكوّنين التركيبي والدّلالي¹

إنّنا أمام مفهوم واسع لصيق البحث بالخطاب وشروطه ويدرس ظروفه ويكشف مقاماته والعوامل النفسية لعملية التّلفّظ والمزيّة التي تحسب لها أنّها: « كشفت الثّغرات لنماذج التّلفّظ التي لا تولي أهميّة لعناصر إنتاج ملفوظ ما »²، فالفكرة الأساسيّة التي تنطلق منها التّداوليّة هي الطّبيعة الإنجازيّة للإنتاج اللّغوي، فالقول أو التّلفّظ ليس مجرد ممارسة فيزيولوجيّة بل هو سلوك لغوي أو فعل اجتماعي، ونلاحظ بعمق هذا التّحوّل الذي اعتري مسار اللّغة إذ تجاوزت التّداوليّة البحث في مستويات اللّغة المعهودة، لتنتقل للبحث في: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات ؟" وهو ما ركّز عليه أوستين في كتابه (How to do things with words) الذي يركّز على الصّفة الإنجازيّة للأفعال الكلاميّة بقوله: « وإنّ فعل "التّكلّم بشيء ما" بالمعنى الواسع المركّب إنّما أسمّيه بل أمنحه هذا اللّقب وهو إنجاز فعل الكلام ومن هذا السّياق فإنّ دراسة العبارات المتلفّظ بها هي في الحقيقة ولنفس السّبب هي دراسة أفعال الكلام...»³

فقد ركّز على أنّ كل قول يعبر عن عمل فحينما يقول الزّوج لزوجته في عقد القران "قبلتك زوجة لي" فإنّه يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا وعقد الزّواج مع زوجته. وهو بعد هذا يضع شروطا ليكون هناك نجاح وتوفيق في تأدية الفعل أداء حسنا ومن هذه الأفعال مثلا إطلاق التّسمية، الوصيّة، الرهان..... وهو يصفها بالشّروط المبدئيّة التي يجري عليها الإنشاء وهي:

1 - ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، بيت الحكمة، الجزائر، ط2009، 1، 73/67.

1 - Gilles Siouffi et Dan Van Raemdonck, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal édition , 1999, 50.

2 - L. AUSTIN .How to do things with words, Ox ford university press, London, 1962, 94.

«(A-1): يجب أن يحصل تواضع واتّفاق على نهج مطرد متعارف عليه، يكون له بعض الآثار المتواطئ عليها بحيث يتضمّن هذا الطّريق التّلقّظ ببعض العبارات من لدن بعض النّاس في بعض الملابس وعلاوة على ذلك.

(A-2): في كل حالة مفترضة يجب أن يكون الأشخاص المعنيين والملابس المخصصة على وفق المناسبة حتى نستطيع أن نتمسّك بذلك النهج المحتكم إليه.

(B-1): يجب أن ينقّد المشاركون النهج على وجه صحيح مضبوط.

(B-2): كامل وتامّ معا.

(جاما -1) وحينما يكون الإجراء المسطريّ الشّكلي نهجا متعيّنا - كما يقع غالبا- لأنّه يستعمله بعض الأشخاص ممّن لهم إحساساتهم وتفكيرهم أو متعيّنا لأن يمهدّ به إيجاد سلوك ذي شأن خطير لدى المشاركين وجب أن يكون الشّخص المشارك في هذا المنهج المسطريّ وبطريق الأولى المحتكم إليه، هو من له في الواقع تلك الإحساسات والأفكار وأن يكون للمشاركين القصد والنيّة في أن يتبعوا هم أنفسهم ذلك السّلك وأكثر من ذلك.

(جاما-2) أن يلزم المشاركون أنفسهم واقعيّا بما ينتج عن السّلك من عواقب ونتائج¹

وبالنّظر إلى هذه الشّروط نراها متكاملة فمنها ما يتّصل بالمتكلّم والمخاطب في نيّتهما وقصدهما وإخلاص عزيمتهما من أجل الخروج بالفعل من التّعبير إلى الإنجاز ومنه ما هو متّصل بتأليف العبارة في حدّ ذاتها.

1- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة- كيف ننجز الأشياء بالكلمات- تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، 27 والتي بعدها.

هذه الجهود اللغوية التي بدأها أوستين بلورت على يد "جون سارل" (John Searle) الفيلسوف الأمريكي الذي يحتل الصدارة بين أتباعه ومريديه ويهتم في الأساس بالأعمال المتضمنة في القول و«يتمثل إسهامه الرئيسي في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمن في القول في حد ذاته وهو ما يسميه: واسم القوة المتضمنة في القول، وما يتصل بمضمون العمل، وهو ما يسميه واسم المحتوى القضوي وعلى هذا النحو فإننا في جملة: "أعدك بأن أحضر غدا" نجد أنّ "أعدك" هو واسم القوة المتضمنة في القول و"أن أحضر غدا" هو واسم المحتوى القضوي»¹.

إنّ هذا الكلام ممّهد لما سيقال فيما بعد عن أسلوب التوكيد، فمثلا جملة: "زيد قائم" تنقل محتوى قضويا مفاده قيام زيد، في حين عند قولنا: "إن زيدا قائم"، لم نضف إلى الجملة إلا قوّة زادت في تأثيره وهي الأداة "إن" التي تفيد التوكيد.

و ما يجعل البحث التداولي ذا صلة وثيقة بالمقامات التواصلية أنها تركز «على المقصدية التي لا تتجلى إلا من خلال الاتصال اللغوي في مقام معيّن، لذا فهي تهتم بدراسة اللغة التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتعبير عن مقصده»².

و من أهمّ الاكتشافات اللغوية للسانيات التداولية: مفهوم الفعل الكلامي الذي اهتم في بلورته "أوستين" أيّا إسهام ومعناه أنّ «كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلا عن ذلك يعدّ نشاطا مادّيّا نحويا يتوسّل بأفعال قولية (Actes Locutoire) إلى تحقيق أغراض إنجازية (Actes Illocutoires) (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ). وغايات تأثيرية (Actes

1 - آل روبول وحاك موشلار، التداولية اليوم، تر: سيف الدين دغفنوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، 33.

2 - سامية بن يامنة، "الاتصال اللساني بين البلاغة والتداولية"، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة، الجزائر، ع1، ماي، 2008، 57.

Perlocutoires) تخصّ ردود فعل المتلقّي (كالرفض والقبول) ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعياً ومؤسسياً ومن ثمّ إنجاز شيء ما¹.

إذن فأبرز خصائص الفعل الكلامي القصديّة والإنجازيّة ونيّة التأثير في الآخر سواء كان هذا الأخير فرداً أو جماعة ومنه فإن له وظيفة حجاجية إقناعية تهدف إلى تصحيح وجهة نظر أو تغييرها. و يعنّ لنا التساؤل في هذا المنعطف الدّراسي: ما مفهوم الحجاج ؟ وما علاقته بالبلاغة ؟ وما إرهاباته في التّراث الفلسفي اليوناني والتّراث اللغوي العربي؟

ثانياً: مفهوم الحجاج

1- الدّلالة المعجمية: من المعاجم اللّغوية الّتي تتبّع معاني مادة " حجج " لسان العرب لابن منظور، يقول: « الحجّ القصد، حجّ إلينا فلان أي قدم، وحجّه يحجّه حجّاً أي قصده »² و يورد ابن فارس المعنى نفسه حين يقول: « كل قصد حجّ... ثم اختصّ بهذا الاسم القصد إلى البيت الحرام للنسك »³. أما المعنى الثّاني فهو السّنة، يقول ابن منظور: « الحجّة السّنة والجمع حجج وذو الحجّة شهر الحجّ »⁴. ويحيل المعنى الثّالث على البرهنة والاستدلال لدحض حجّة الخصم، يقول صاحب لسان العرب: « يقال حاججته، أحاجّه حجاجاً ومحاجّة حتّى حججته، أي غلبته بالحجج

1 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008، 54 والتي بعدها.

2 - ابن منظور، لسان العرب، م1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1955، 226 (مادة حجج).

3 - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، تح: عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991، 27/2.

4 - ابن منظور، لسان العرب، ط1، 227/1.

التي أدليت بها والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دافع به الخصم ..و هو رجل محجاج أي جدل، والتحاجج التخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجّا غلبه على حجته. وفي الحديث فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجة واحتجّ بالشّيء اتّخذ حجة. والحجة: الدليل والبرهان، يقال: حاججته فأنا محاجّ وحجيج، فعيل بمعنى فاعل ومنه حديث معاوية: فجعلت أحجّ خصمي أي أغلبه بالحجة، وحجّه يحجّه حجّا فهو محجوج وحجيج»¹.

ويبدو أن هذا المعنى هو الأكثر علاقة بالمدلول الاصطلاحي، وما استعراضنا للفعل (حجّ) ومصدره (حَجّ، حجاج، محاجة، تحاجّ، تحاجج) واسم فاعله (مُحاجّ، حاجّ) واسم مفعوله (مَحْجُوج) وصيغة المبالغة (حَجِيج) إلا غاية منا استعمال هذه الاشتقاقات اللغوية لاحقا في بحثنا إيماننا منّا بشراء لغة الضّاد وابتعاد اللّغويين عن استعمالها وميلهم إلى الطّابع الانتقائي في المتح من زادها اللّغوي.

وبالعودة إلى مادة (حجج) ومعانيها الأخرى يطالعنا ابن فارس بالمعنى الرابع: «الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين»². ويرد ابن منظور بالقول: «... والحجاج والحجاج: العظم النّابت عليه الحجاب...»³.

إذن فمادة (حجج) يمكن حصرها في أربعة أصول لغوية، إن صحّ التعبير هي:

✓ الأول: القصد.

✓ الثّاني: الحجة أي السّنة.

✓ الثّالث: البرهنة ودحض حجة الخصم.

1 - المرجع السابق، 1/ 227.

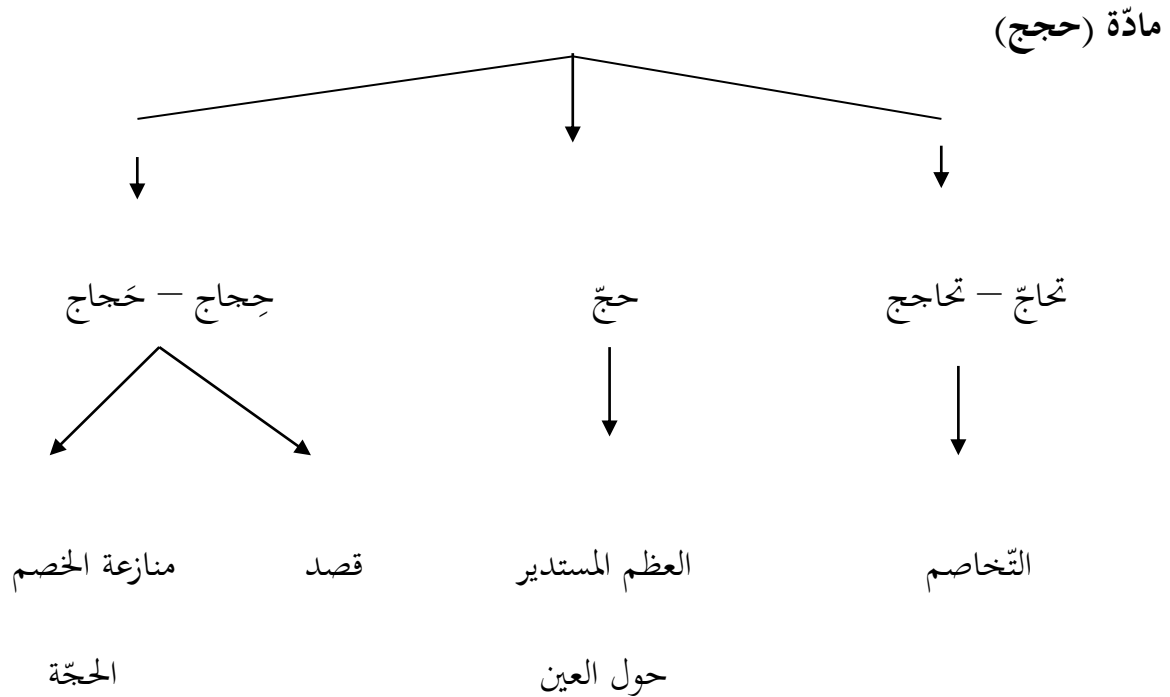
2 - ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/ 228.

3 - ابن منظور، لسان العرب، 1/ 229.

✓ الرابع: العظم المستدير وسط العين.

ويبدو أنّ موضوع بحثنا ذا صلة بدالتين هما: القصد والبرهنة، على اعتبار أنّ معنى القصد يحمل دلالة النية المبيتة والإرادة العملية، فبالعودة إلى تعريف "ابن منظور" للحجّ نجده مقرونا بالعمل والتّنفيد، يقول: « والحج: قصد التّوجّه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة¹ ». والدلالة الثانية هي المبالغة قصد الظّفر باستعمال الحجج بغية إفحام الخصم وهنا تطالعنا المصادر: التّحاجّ، التّحاجج، الحجاج، الحجّ، المحاجّة والمحاججة.

وبدقّة سنلخص أهمّ المعاني التي أوردها ابن منظور لهذه المادّة كالآتي:



1 - المرجع السابق، 226/1.

2-الدلالة الاصطلاحية:

تمتد نظرية الحجاج عبر حقول معرفية عديدة كالفلسفة والمنطق واللسانيات ونظرية التواصل والقانون لتمتد إلى علم النفس وعلم الاجتماع وتخصصات أخرى عديدة.

إنّ الذي يهمنّا صلتها الوطيدة باللسانيات باعتبارها نظرية لغوية لها قواعدها فقد "وضع أسسها اللغوي الفرنسي (O. Ducrot) منذ سنة 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانيات اللغات الطبيعية التي يتوفّر عليها المتكلم وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها « أننا نتكلم عادة بقصد التأثير»¹. فالارتباط وثيق جدا بين الحجاج والمقام التواصلية وهو ما يؤكد فيليب بريتان (P.Breton) بالقول: « إن تعريف الحجاج الذي هو محل الدراسة يندرج ضمن ما يطلق عليه منذ زمن يسير: علوم الاتصال، هذا السلوك أو بالأحرى السلوك الخارجي يهتم بكل ما يتعلق بصورة الرسائل وطريقة إيصالها وكذلك بدلالاتها الاجتماعية في السياقات التي ترد فيها...»².

مما يدل على شمولية هذه العملية وعمقها واتساعها لتشمل المتكلم، المخاطب، الرسالة الكلامية، والسياق. يقول باتريك شارودو (Patrick Charaudeau): « الحجاج حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي»³.

1 - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي " التحاجج: طبيعته ومجالاته ووظائفه"، تنسيق: حمز النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006، 55.

2 - Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, 3eme éd, Repère, 07

3 - باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى، تر: أحمد الود، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009، 16.

فالمتكلم الحاج أو المحاجج ليس غرضه الإفهام فحسب بل يتسع قصده ليشمل التأثير في المتلقي المحجوجا المحاجج بغية توجيه سلوكه وجهة معينة، إذ يريد إقناعه بأمر ما أو تغيير قناعاته تجاه موقف أو قضية معينة.

أمّا أوزفالد ديكر رائد النظرية الحجاجية فيلخص أهم خصائصه، يقول محمد طلحة: « تقوم العلاقة الحجاجية بين ملفوظين (م1) و(م2) إذا كان الملفوظ (م1) مقدمة للتسليم بالملفوظ (م2) فالملفوظ (م1) حجة والملفوظ (م2) نتيجة لتلك الحجة ومن الممكن أن تكون النتيجة صريحة ومتلفظ بها كما أنه من الممكن أن تكون ضمنية.

- إنّ العلاقة الحجاجية هي علاقة نسبية ترتبط بالمقام الذي تم التلفظ بها فيه، وقد تكون مندرجة ضمن سياق اللغوي للملفوظ، وترتبط بالمعارف العامة والمسلمات البديهية المتعارف عليها في المجتمع وخاصة منها الأعراف اللغوية.

- ليس الحجاج قيمة مضافة إلى الملفوظات اللغوية بل هو وظيفة أساسية ملازمة لنشاط التلفظ والقيمة الحجاجية للملفوظ ما ليست نتيجة المعلومات المتضمنة فيه فقط بل إنه قد توجد في الجملة مورفيمات أو تعابير أو صيغ تعطي للملفوظ توجهها حجاجيا يقود للمخاطب إلى ذاك الاتجاه أو ذاك بغض النظر عن حملتها الإخبارية.

- يسعى المتكلم من خلال العلاقة الحجاجية بين الملفوظات إلى إقناع المخاطب بوجهة نظره وباعتبار الإقناع فعلا ناتجا عن الحجاج فإننا نعد الملفوظات الحجاجية بهذا النوع من الأفعال الكلامية، وهذا يعني أن الحجاج يتميز بخصائص الفعل الكلامي وهي على التوالي: القصدية والتواضع والعرفية.

- تتسم العلاقات الحجاجية باعتمادها الأساسي على عنصرين اثنين هما: الترابط والتراتب..¹

و المقصود بالترابط أن هناك عناصر لغوية تربط بين المقدمات والنتائج، أما التراتب هو خاصية تابعة لميزة العرفية التي تختص بها اللغة وفي كل لغة صيغ وكلمات تعطي للملفوظ قيمة حجاجية أكبر وهذا ما تناوله ديكرو تحت موضوع: السلم الحجاجي².

3- الحجاج والبرهان :

نؤكد بداية أن مجال الحجاج واسع وأول ما يلتبس به: البرهنة والاستدلال.

إنّ هذا الارتباط الشّدِيد الصلة بين هذه المفاهيم الثلاثة يعزى لأمرين:

الأول: أنّ الاستدلال والبرهان إرهاصات أولى لظهور مفهوم الحجاج بثوبه الجديد لذا لا بد من التعرّيج عليهما.

الثاني: لا يمكن للحجاج أن يستغني بصفة نهائية عن الأقيسة الجدلية والبرهنة .

فالمقصود بالبرهنة: « المعرفة العلمية التي تستعمل كل العلوم من منطق وعلوم تعاليم وعلم طبيعي وعلم ما بعد الطبيعة للوصول بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال. أي تحقيق الحد الأقصى لحد الإنسان كحيوان ناطق. فلا يمكن للإنسان أن يتحقق كحيوان ناطق إلا بالاستيعاب الكلي لكل المعارف الإنسانية التي تصبو إلى تحقيق هذه الغاية، وهي بطبيعة الحال العلوم الفلسفية النظرية »³

1 - محمد طلحة، "القيمة الحجاجية لأسلوب التوكيد في اللغة العربية"، الخطاب، دورية أكاديمية محكمة تعني بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، منشورات مختبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ع3، ماي 2008، 105.

2 - ينظر: المرجع نفسه، 108.

3 - محمد أبلان، الانتقال من البرهان إلى الجدل في مغرب القرنين 13م و14م، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، 148.

إذن فالفلسفة مهد البرهان الذي يعتمد على المنطق والقياس.

أما ابن حزم فيقول: « البرهان كل قضية أو قضايا دلت على حقيقة حكم الشيء »¹

فمن كلامه نستنتج أن البرهان قائم على أساس مقدمتين (م1) و(م2) تفضيان إلى نتيجة (ن).

و يوضّح جميل صليبا في معجمه مفهوم البرهان أكثر بالقول: «و القدماء لا يطلقون لفظ البرهان إلا على الاستنتاج العقلي أي على الاستنتاج الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطرارا. أما المحدثون فيطلقون هذا اللفظ على الحجة العقلية والحجة التجريبية معا. والمقصود بالحجة التجريبية الحجة التي تستند إلى التجارب والأشياء والحوادث، كحجة الأستاذ الذي يبرهن على صحة دعواه بإبراز بعض المستندات.»²

الحجاج	البرهان
*تتم ممارسته في اللغة الطبيعية.	*يعتمد على اللغة الرمزية النموذج.
*هدفه الإقناع والتأثير.	*هدفه التفريق بين الخطأ والصواب.
*فردى يقوم على الرأي.	*أساسه الحقيقة.
*مجالاته متعددة: فلسفة، قانون، سياسة، كلام....	*مجاله المنطق.

والاستدلال لا يختلف عن البرهنة، إذ يعرف بكونه: «نشاط عقلي ينطلق من مقدمات وفق

ترتيب معين للوصول إلى نتائج جديدة، تجعل من حكمنا على شيء ما حكما مطابقا للواقع لا حكما

1 - ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، 1/39.

2 - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1982، 206/207.

جزافيا فلا استدلال إذن قدرة فطر عليها الإنسان ليحقق بها الانسجام بين حركته الإرادية وحركة الكون من حوله»¹

فالحجاج هو الذي يعتمد على أسس إقناعية يتكئ على إمكانات الفرد اللغوية وتتم ممارسته في اللغة الطبيعية في حين أن البرهان هو إفحام الخصم بالحجج المنطقية التي لا يرتاب فيها اثنان، ويمكن إجمال الفرق بينهما في الجدول الآتي :

ثالثا: الحجاج في التراث اليوناني :

ليس من المبالغة القول أن الفلاسفة اليونان قد أسهموا أيما إسهام في إرساء مبادئ القياس والمنطق والتي متح منها اللغويون المحدثون نظرياتهم العديدة، وكانوا كل مرة يرجعون إلى ذلك النهر الذي لا ينضب ومفهوم الحجاج جذوره ضاربة في هذا التراث إذ تمثل البلاغة السفسطائية، وحوارات أفلاطون ومؤلفات أرسطو زادا لغويا أسهم في إثراء الدرس الحجاجي الحديث، فالسفسطائيون أول من اتجه إلى الحديث عن الحوار وفنّ الجدل من حيث هو فنّ قول يحتاج إلى آليات ووسائل وجب تعلّمها للتأثير في الآخرين بتحريك وجدانهم واستمالة عواطفهم، يعرفه الباجي (ت 474هـ) بكونه: « تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه »²، لا يبتعد عنه "روبير بلانشيه" حين يقول: « مناقشة مؤسسة على نحو ما، منظمة، عادة في حضور جمهور يتابع اللعبة، كأنها نوع من المبارزة بين متحاورين يدافعان عن أطروحتين متناقضتين »³.

3 - رشيد سلهاط، الاستدلال الفقهي - دراسة تحليلية - مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، 2006/2007، 7.

2 - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، بيروت ط1، 2001، 11.

3 - روبير بلانشيه، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر: خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، د ت، 21.

فقد درس هؤلاء الأشخاص الخطابة (البلاغة) دراسة مستفيضة واحترافية، فسافر بعضهم للتعليم بأجر، وكتابة الكتب في الموضوع، فتطورت الكتابة في فن الخطابة لأن السفسطائيين اصطنعوها مسلكا لإشاعة الثقافة الديمقراطية عن طريق تعليم هذا الفن، وتربية القادة من أجل حمل المسؤولية التي تبدأ من حسن تدبير الكلام، وهو مظهر من مظاهر "سفسطائية السلاطة" كما يسميها صاحب منطق بور رويال¹.

ولا يهمننا في هذا المقام الحديث عن مصداقية النصوص المنسوبة إليهم، وهو ما ناقشه الدكتور أحمد يوسف من خلال عرضه لآراء بعض الغربيين كـ "جورج بريسكوكرفريد" الذي عاش بين عامي [1915 – 1998] وأقوى أدلته أنها وصلتنا بأقلام خصومهم كأفلاطون²، إنما الذي يعنينا هو الإشارة إلى هذا التراث الخطابي وإجلاء دوره في البلاغة و« لعل أشهر السفسطائيين بروتاغوراس (Protagoras d'Abdère) (وجورجياس) Georgias وهيبياس (Hippias) وهؤلاء يمثلون رصيد البلاغة "rhétorique" في صورة الخطابة عند العرب التي تعد من المظنونات المشيعة بالتضمينات الحجاجية فصارت بعض أسمائه عناوين لمحاورات أفلاطون على لسان سقراط³.

كان "بروتاغوراس" معلما للبلاغة التي كانت تدرّ عليه ثراء كبيرا، وكان يفهم خصومه لأنه قادر على التصدي لأي سؤال، والذي ميّز البلاغة السفسطائية شفويتها لأنها تركز على فن القول، وشاعت بسبب النقاش الديمقراطي الذي كان يعمل في ساحات أثينا، والمرافعات التي كانت تجري في قاعات

1- ينظر: حافظ اسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، 1/7.

4 - ينظر أحمد يوسف، البلاغة السفسطائية وفاتحة الحجاج، تحافت المعنى وهباء الحقيقة، 2/2.

1 - المرجع السابق، 3.

المحاكم، وكذا الخطب السياسية والعسكرية والأعمال الدرامية التي كانت تعرض على مسارح اليونان.¹ وهذا اختارت الخطابة (البلاغة) السفسطائية حجاجا ذاتيا قوامه الإنسان الذي صار مقياسا لكل شيء ولم ينظر السفسطائيون إلى الخطابة بوجه عام، على أنها جدل أو وسيلة للتأثير فحسب، بل هي ترتفع إلى مرتبة العلم والفن الحقيقيين كما يقول جورجياس، وتبعا لذلك فالمعرفة الحقيقية هي تلك الممثلة في الخطابة (البلاغة)...إنها عند أنتيفون طب النفوس ووسيلة بها ترتفع الحياة الباطنة ارتفاعا كبيرا، وعند هيباس سمو بالروح ولطف فيها، وسمو في التفكير العقلي...»²

إذن هي عند السفسطائيين قد سمت وارتفعت للتعبير عن المعرفة الحقيقية والعلم الصحيح. وهذه الآراء لم ترق لسقراط وغيره من الفلاسفة اليونان، لأن السفسطة عندهم كثيرا ما ترتبط بالأباطيل والمغالط، فالسفسطائي قادر على استمالة رأي الآخرين بالاعتماد على حجج مخادعة ومضللة، وهو ما رآه أفلاطون أيضا الذي «بذل أوفر الجهد في محاوراته بالخصوص لتمييز القول الفلسفي من القول السفسطائي ولاسيما أن هذا الثاني كان يريد اكتساح غالب فضاءات الفكر والاجتماع، واعتبر أن رهان ذلك التمييز ومنتهاه بقاء الفلسفة في المدينة أو انحسارها، بل ازدهار المدينة بما لهذا المفهوم من دلالات عنده أو انتكاسها»³، ويعنّ لنا التساؤل عن المنطلقات التي ركز عليها أفلاطون في نقده للسفسطائيين، وما قواعد الحجاج عنده؟

ولإيضاح رأيه أفرد أفلاطون محاورتين هما: "قرجياس" و"فيدر" نقد فيهما الخطابة السفسطائية، واعتمد استراتيجية الكشف أو نزع القناع، إذ يجادلهم تارة ويدرس أنموذجا من نصوصهم تارة أخرى عن

2- ينظر المرجع نفسه، 3- 4 .

3 - حافظ إسماعيلي علوي، تقدم كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، 7/1 .

1- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي حمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د، 49-50.

علاقة القول الخطبي السفسطائي بقيم الحق والجميل والخير، ثم استعمل استراتيجية في الحديث عن الشروط التي يكون بها القول قولاً.

و من المقابلات التي أجراها في المحاورة الأولى:المقابلة بين العلم والظن، وفي رأيه أن الإقناع نوعان:إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظن، وهذا الثاني هو موضوع الخطابة السفسطائية القائمة على المحتمل والممكن، ولما كان الأول يعتمد على مبادئ صادقة وثابتة وأزلية كان الأنفع في تقديم المعرفة الصحيحة للإنسان، وجب إذن الابتعاد عن المغالط أو الظنون التي تسوقها السفسطة.¹

إن هذا الصراع الضاري بين الفيلسوف والسفسطائي كان كبيراً في أثينا، صراع أمد الحجاج والبلاغة بمكاسب عديدة كان أبرزها دفع فلاسفة الإغريق إلى دراسة فن القول والخطابة دراسة دقيقة، وهذا البحث تبلور ونما على يد التلميذ المعلم "أرسطو طاليس" إذ حاول سائراً على درب أستاذه بشتى الطرق إبطال مزاعم السفسطائيين ودحض حججهم، و عبر عن آرائه في كتابه "الخطابة"، فقد أعاد للجدل ميزته التواصلية، في حين كان تجريدياً مثالياً عند أفلاطون.

ويؤكد أرسطو أن الخطابة تنهض على ضرورة إقناع الآخرين والتأثير فيهم: «فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»² والحجاج ينبنى على الإقناع ويقوم عليه ويهدف للتأثير في المحجوج .

ثم إن تفكيره الفذّ ووعيه العميق جعله يصنف الخطابة كنوع من أنواع الجدل، وفرع من فروع علم الأخلاق، وهذا وعي مبكر من قبله، أطلق عليه حديثاً التداخل المعرفي (interdisciplinarité)،

2 - ينظر المرجع نفسه، 3 .

1 - أرسطو الخطابة، عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويتية ودار القلم، بيروت، 1979، 9.

فخصائص الخطاب البلاغي الجدلي انفتاحه على مجالات معرفية عديدة، واستفادته منها، وما للخطابة من أدوار اجتماعية تجعلها توظف أنماط الحجاج باحترام الملائمة بين الأسلوب والمقام والممكن والمحتمل.¹

إنّ هذا الرّبط امتدّ للفلسفة، فالحجاج والجدل يبنيان على الاستدلال والمنطق فبين الحجاج والفلسفة تقاطع لا يمكن إنكاره، وأرسطو أجلى تلك الوشائج وحاول تصنيفها، فدراسته للحجاج» تأسست على دعامتين كبيرتين: الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال "raisonnement" والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي² ثم أقر كما سبق وأشرنا إلى البعد التأثيري للريطورية أو الخطاب وانطلاقاً من هذا سعى للعناية بالباط "الخطيب" و الرسالة الكلامية "الخطابة" والمتلقي الذي يختلف فقد يكون حاكماً أو قاضياً أو من عامة الشعب، لذا ركز على أن يعطي لكل مقام أهمية، وتكون خطابته محترمة لشروط السّياق، ويمكن إجمال خطابة أرسطو انطلاقاً مما سبق في إلمامها بثلاث نظريات :
«1- نظرية في الحجاج الجدلي البرهاني ذي الأرومة المنطقية الذي يشرب جذوره في مجال الطوبيقا عند أرسطو، هذا المجال هو أقرب ما يكون إلى عمل العقل في الخطاب.

2- نظرية في حجاج هيئات الخطيب ونوازع المتلقي، باعتبارهما ايتوسوباتوس وهذا مجال شديد الصلة بكتابي أرسطو في الأخلاق والسياسة.

3- نظرية في البناء النصي والجمالي أو الشعري الوثيق الصلة بكتاب الشعر لأرسطو.³

2 - ينظر: محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر - دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط1، 32، 2008-33.

3 - المرجع نفسه، 36.

1 - محمد الولي، السبيل إلى البلاغة الباتوسية الأرسطية، الحجاج: مفهومه ومجالاته، 2/ 78.

إنّ هذه الإطلالة على البلاغة الأرسطية وقفة دعا إليها ضيق المقام، تجعلنا نستنتج إسهامها في إدكاء الدرس الحجاجي الحديث.

رابعاً: الدرس الحجاجي عند العرب:

كان لنشأة القرآن الكريم أثره في تبلور الدرس البلاغيّ الذي سعى بكل الطرق والوسائل لإبراز مكانه الإعجاز في هذا الخطاب المتميّز وبما أن مبدأ التواصل البشري جعل اللغة أداة راقية للتعبير، فقد جعل أولئك البلاغيون، ومن بعدهم الفلاسفة العرب من الحجاج من أرفع العلوم قدراً، يقول أبو الوليد الباجي: «و هذا العلم من أرفع العلوم قدراً، وأعظمها شأنًا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم»¹، ويورد الباجي، انطلاقاً من فكره الفذ والمنطقي الاستدلالي حججه في كون الجدل والحجاج من أهم العلوم التي يجب تدارسها، يقول: «و قد نطق الكتاب بالمنع من الجدل لمن لا علم له والخطر على من لا تحقيق عنده فقال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَلَمْ تُحَاجُّوْا فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: 66] وقد ورد الأمر به لمن علم وأتقن فقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]»² و هو دفاع كانت له ظروفه التي تبرزه، فقد امتنعه من لم يمتلك وسائله، وكثر الخائضون فيه، يقول: «فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يبلغهم عمله، ولم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري تحقيقه، والقاصد إلى نهج لا يهتدي طريقه، أزمعت

1 - الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، 8.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

على أن أجمع كتابا في الجدل يشتمل على جمل أبوابه وفروع أقسامه وضروب أسئلته وأنواع أجوبته، وأعفيته من التطويل الممل للمريد والاختصار المخل بالمقصود...»¹.

إنه كلام يذكرنا بالخطابة الأرسطية والجدل الفلسفي السفسطائي، وما تمخض عنه من إبداع حجاجي، وهو ينم عن إدراك واع لقيمته وأهميته.

1- بنية البرهان هند العرب:

سبقت الإشارة إلى أن البرهنة تعتمد على عناصر تكوينية تتمثل في مقدمتين معلومتين تؤلف تأليفا معينا يتولد بينهما نتيجة، ويجعله أبو حامد الغزالي ثلاثة أنماط هي:².

* النمط الأول: ويضم ثلاثة أضرب، تعتمد على موقع العلة في البرهان.

- الضرب الأول: مثل: كل نبيذ مسكر ← م1 / كل مسكر حرام ← م2

و إن كانت المقدمات قطعية سماها برهانا، وإن كانت مسلمة سماها قياسا جدليا، وإن كانت ظنية سماها

قياسا فقهيها ف م1 يعني بها المقدمة الأولى وم2 المقدمة الثانية وتتولد عنها " نتيجة" و هي كل نبيذ

حرام، أما الحلقة التي تتكرر في المقدمتين فيطلق عليها اسم العلة.

- الضرب الثاني: مثل: البارئ غير مؤلف ← م1 / كل جسم مؤلف ← م2

البارئ ليس بجسم.

3 - المرجع نفسه، 7.

4 - أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، 31.

العلة في هذا المثال هي " المؤلف " ووقعت خبراً في كلتا المقدمتين بخلاف العلة في المثال السابق والخاصية المميزة لهذا المثال هو احتواؤه على قضية نافية سالبة، بخلاف الضرب الأول الذي يحتوي على الإثبات جميعاً أو النفي جميعاً.

- الضرب الثالث: في هذا الضرب العلة مبتدأ في المقدمتين، مثل: كل سواد عرض ← م1/

كل سواد لون ← م2، بعض العرض لون ← ن، ويسمى هذا الضرب عند الفقهاء نقضاً.

***النمط الثاني:** وهو برهان التلازم، ويشمل على مقدمتين، المقدمة الأولى تشتمل على قضيتين والمقدمة الثانية عبارة عن إحدى القضيتين إما بالنفي أو بالإثبات¹ مثل قولنا: إذا كانت الصلاة صحيحة، فيلزم أن يكون المصلي متطهراً، كما أن تسليم نقيض اللازم ينتج نقيضاً مثل القول: إن كانت هذه الصلاة فالمصلي متطهر، ومعلوم أن المصلي غير متطهر فينتج أن الصلاة غير صحيحة.

***النمط الثالث:** وهو برهان التعاند ويشمل على مقدمتين ونتيجة، م1 عبارة عن قضيتين وم2

أن تسلم إحدى القضيتين أو نقضها، وفي كل حالة تنتج نتيجة وفقاً للتسليم أو النفي والمتكلمون يسمونه السبر والتقسيم، والمنطقيون " الشرطي المنفصل ".

- العلم إما قديم وإما حادث

✓ لكنه حادث * فليس بقديم

✓ لكنه قديم * فليس بحادث

✓ لكنه ليس بحادث * فهو قديم

1- المرجع السابق، 33.

✓ لكنه ليس بقديم * فهو حادث

هذا إجمالاً بنية البرهان عند أبي حامد الغزالي، وهو نموذج لنظرة الفلاسفة المسلمين له وهي نظرة منطقية تنبني على الاستدلال والقياس.

2- الحجاج في التراث البلاغي العربي :

إنّ المقام لا يسمح بالتفصيل في هذا الموضوع، وحسبنا إلقاء نظرة سريعة عن أهم الجهود في هذا المضمار. و تعد المصنفات النفيسة لعبد القاهر الجرجاني (ت421هـ)، الجاحظ (ت255هـ)، السكاكي (ت626هـ)، و حازم القرطاجني (ت684هـ)، وغيرهم أكثر الأعمال شهادة على محاولتهم ربط الدرس البلاغي بالمقامات التواصلية من جهة، وبالمنطق والتعديد العلمي من جهة أخرى .

وهذا الجاحظ يجعل البيان مرادفاً للإفهام، فيلقي بذلك الضوء على المتكلم باعتباره بليغاً قادراً على الإفصاح والمتلقي الذي يتأثر بالرسالة الكلامية، فهو أي بيان: « اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير، ... لذا فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان.¹ والكلام في نظر الجاحظ لا يمكن تمييزه عن البلاغة فهو في نظره يضطلع في حياة الفرد بوظيفتين أساسيتين هما: أولاً: الوظيفة الخطابية وما يتصل بها من إلقاء وإقناع واحتجاج ومنازعة ومناظرة، والخطب التي أوردها في هذا المجال تتوزع على ثلاثة محاور: الأول ديني نجد فيه خطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - والثاني سياسي نجد فيه خطب الحجاج وزباد وأنصارهما وخصومهما والثالث جدلي مذهبي كان نتيجة التطورات في مختلف الميادين، وهذه المحاور الثلاثة يغلب عليها طابع الحجاج الذي يكثر الجاحظ من ذكر مادته اللغوية لجميع اشتقاقاتها الصرفية.

1 - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، دت، 1/ 67.

أما الوظيفة الثانية فهي الفهم والإفهام أو البيان والتبيين، فتحقيق التواصل لا يهم إلا من وجهة الإفهام والتفهم.¹

و لم يفت الجاحظ الحديث عن المقامات التواصلية والتي يجب أن تراعى أثناء العملية الكلامية.

وجاءت المصنّفات البلاغية بعده لتؤكد أهمية المقام والسياق في إنتاج الكلام، ونجد هذا جلياً في علم المعاني، وتقسيم الأساليب البلاغية إلى خبر وإنشاء، والأوّل إلى ثلاثة أضرب ابتدائي، طلبي، إنكاري، وهو موضوع سنعود إليه بالتفصيل في مقام آت.

3- بين الجدل والحجاج :

إن التّرادف هو السمة المميزة بين الجدل والحجاج، فرجل جدل أي محجاج، وله القدرة على إفحام خصومه بالحجة والدليل والبرهان، ويصنف ابن حزم الجدل إلى نوعين:²

✓ الأول محمود ومشروع وهو الجدل بالتي هي أحسن من أجل إظهار الحق وفي هذا الصّنف قال تعالى: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:125].

✓ الثاني مذموم وله وجهان:

أ- وجه يجادل فيه المجادل يغير علم، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ

فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُظِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج:8-9].

2 - ينظر: محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، 212.

1 - ينظر ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 23.

ب- أن يجادل المجادل نصرة للباطل بشغب وتمويه بعد ظهور الحق إليه مثل قوله تعالى:

﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا مِنْ آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾

[الكهف: 56].

ولم يتعد طه عبد الرحمن في تعريفه للجدل عن هذا الجانب الحجاجي يقول: «وحد الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية»¹ وفي مقام آخر يؤكد على طبيعته التفاعلية المرتبطة أشد ارتباط بعناصر المقام: «كلما وقفنا على لفظ "الحجاج" تسارعت إلى أذهاننا دلالاته على معنى التفاعل حتى أن ما سواه من مظاهر التفاعل أن تبادلا للتأثير أو تناقلا للتغيير أو ترابطا وظيفيا أو حتى تجاوبا وجدانيا، تبدو لنا موضوعة على قانونه مفهومه على مقتضاه، أو قل إن الحجاج أصل في كل تفاعل، كائنا ما كان»² ثم يجعله مرادفا للمجاز خاصة في شكله الاستعاري، هذا لأن غاية المجاز التأثير في الآخر واستمالة عقله ووجدانه بحمال الأسلوب وروعة التعبير.

و يقسم الحجّة إلى ثلاثة أنواع بحسب بعدها التواصلي :

«أ- النموذج الوصلي للحجة: تكون فيه الوظيفة التواصلية وظيفية وصل إذ يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما.

ب- النموذج الإيصالي للحجة تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفية إيصال، لأنه يجعل من الحجة فعلا استدلاليا يتوجه به المتكلم إلى المستمع.

2- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، 65.

1 - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، 229.

ج- النموذج الاتصالي للحجة تكون فيه الوظيفة التواصلية للحجة وظيفة اتصال، إذ ينظر في الحجة بوصفها فعلاً مشتركاً بين المتكلم والمستمع، جامعاً بين توجيه الأول وتقويم الثاني»¹.

وإذا أردنا أن نعطي لمحة تاريخية سريعة عن أهم المؤلفات العربية التي ألفت الضوء على مفهوم الحجاج في العصر الحديث، سنجد: "فن الإقناع" (1985) لمحمد العمري، حيث اقترح خطاطات ونماذج عملية لتحليل الخطبة تحليلاً حجاجياً ويأتي كتاب صلاح فضل "بلاغة الخطاب وعلم النص" (1993) ليعزز الناحية النظرية والتاريخية والعلائقية لمباحث الحجاج من خلال فتح الحدود بين البلاغة والأسلوبية وبين التداولية والحجاج... وتأتي دراسات طه عبد الرحمن في سياق ربط النظريات الحجاجية بالمنطق² ولا يخفى ما لكتاب عبد الله صولة الحجاج في القرآن من خلال أهم مظاهره الأسلوبية من إسهام في الجمع بين الحجاج والأسلوبية في غير تنافر.

و مؤخرًا صدر كتاب: الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة في خمسة أجزاء، تحت إشراف حافظ إسماعيلي علوي أسهم في إثراء الدرس الحجاجي، وأعاننا في البحث من خلال دراساته القيمة.

خامساً: البلاغة الجديدة:

إنّ البلاغة الجديدة تنطلق من بلاغة أرسطو التي تتوجه إلى كل المستعملين على اختلاف مستوياتهم ومن ثمّ فهي تنطلق من فن القول والجدل، وتعرف بأنها: «نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية. وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتم

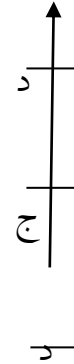
2 - طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، د ت، 6.

1 - صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، 45.

البلاغة الجديدة أيضا بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب ثم يتطور، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور»¹ وانطلاقا من هذا جاءت أعمال "ديكرو" الرائدة في المجال الحجاجي الذي يفرّق بين الحجاج العادي الذي يعني طريقة عرض الحجج وتقديمها، والحجاج الذي يدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجة (scalaire) أو قابلة للقياس بدرجات، أي أن تكون واصله بين سلام² فما المقصود بالسلم الحجاجي؟

1- السلم الحجاجي وقوانينه:

ويعد من أبرز المفاهيم التي نادى بها ديكو، وهو « علاقة ترتيبية للحجج، يمكن أن نرسم لها كالتالي:



ن = نتيجة "ب" و "ج" و "د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن"³

و يتسم بالسّمتين الآتيتين :

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة إلى "ب".

2 - المرجع نفسه، 15.

1 - المرجع نفسه، 15.

2 - أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج: طبيعته ومجالاته ووظيفته، 59.

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" و "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها والعكس غير صحيح.¹

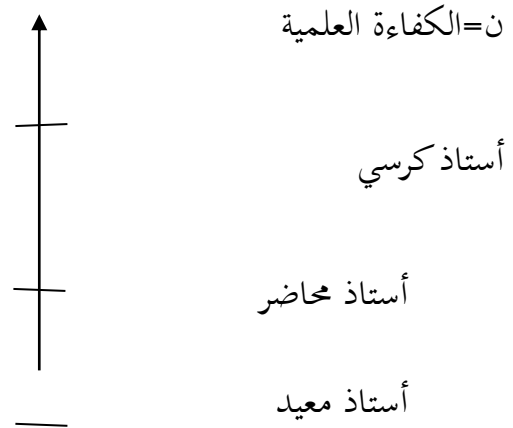
و يمكن التمثيل لذلك بالأقوال التالية :

1- اشتغل أحمد أستاذًا معيدا في الجامعة.

2- اشتغل أحمد أستاذًا محاضرا في الجامعة.

3- اشتغل أحمد أستاذًا كرسي في الجامعة.

فكلّ هذه الأقوال تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، وتؤدي إلى نتيجة ضمنية وهي: كفاءة أحمد العلمية وتقلده لمنصب أستاذ كرسي هو دليل قوي على تلك المكانة ويمكن الترميز لهذا السلم كالآتي:



أما قوانين السلم الحجاجي فيجملها أبو بكر العزاوي في ثلاثة هي:²

3 - المرجع نفسه، 60.
1 - المرجع السابق، 60-62.

1- **قانون النفي**: إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل المتكلم ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه

(أي-أ) سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، ويمكن التمثيل لهذا بالمثالين الآتيين:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

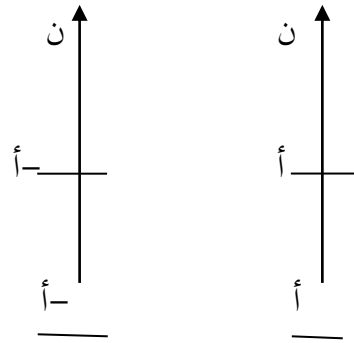
- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

فإذا قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأول، وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني.

2- **قانون القلب**: يرتبط هذا القانون أيضا بالنفي، ويعد تكميما للقانون السابق ومفاد هذا

القانون أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس الأقوال الإثباتية، أي إذا كان (أ) أقوى من (أ)

بالقياس إلى النتيجة (ن) فإن (أ-) أقوى من (أ-) بالقياس إلى النتيجة (لا-ن).



و يمكن توضيح هذا بالمثالين التاليين:

- حصل زيد على الماجستير، وحتى على الدكتوراه.

- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

3- قانون الخفض: يوضح قانون الخفض (loi d'abaissement) الفكرة التي ترى أن

النفى اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة (moins que) فعندما تستعمل جملا من قبيل :

- الجو ليس باردا

- لم يحضر كثير من الأصدقاء.

فسيؤول القول الأول إلى :إذا لم يكن الجو باردا فهو دافئ وحار.

و القول الثاني إلى:- لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل .

2- الروابط والعوامل الحجاجية :

يرتبط الحجاج باللغة ارتباطا وثيقا وهذه الأخيرة تتوفر على أدوات حجاجية تسهم في زيادة

قيمتها الحجاجية.

لقد اقترح "ديكرو" وصفا حجاجيا جديدا لهذه الأدوات، باعتباره بديلا للوصف التقليدي، فإذا

كان هذا الأخير يصف الأداة (puisque) بأنها تشير إلى أن "ب" يستلزم "أ" فقط فإن الوصف

الحجاجي له: يسلم المخاطب بـ"ب"، وبالإحالة على استلزام "ب" لـ"أ" فإن عليه أن يقبل "أ"¹.

« وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية هي: الروابط الحجاجية

1 - المرجع السابق، 63.

(Les connecteurs) والعوامل الحجاجية (les operateurs) فالروابط تربط بين قولين

أو بين حجتين على الأصح أو الأكثر، و تسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، الخ.

أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كلا، قليلا، كثيرا، ما، ...إلا وجل أدوات القصر»¹

فلو أخذنا المثالين:

- الساعة تشير إلى الثامنة .

- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

فإن المحتوى الإعلامي أو الخبري واحد، ولكن القيمة الحجاجية للثانية أقوى بدخول أسلوب القصر عليها، ولو أخذنا مثالا ثانيا:

- إنه تلميذ مجتهد، إذن سينجح.

نجد أن الرابط بين الحجة (تلميذ مجتهد) والنتيجة (سينجح) هو "إذن".

لقد رأينا أن مفهوم الحجاج ضارب بجذوره في الدرس اليوناني، الذي أخذ منه منطق وقياس الصارم مستلهما الجهود الكبيرة لأرسطو في مجال الخطابة، ليأخذ منه بعض اللغويين المحدثين نظرياتهم

أمثال: "ديكرو" و "سورل" في مبادئ الحجاج والحديث عن السلم الحجاجي والعوامل الحجاجية وغيرها، ومما يمكن استنتاجه أن التراث اللغوي العربي، والبلاغيّ منه على وجه الخصوص، قد ميّزته هذه السمة الحجاجية، انطلاقاً من أن البلاغة أولاً جسر يمتدّ من الباث إلى المتلقي بهدف التأثير فيه واستمالته، إنها إقناع مؤثّر ولا نغلو إذا قلنا أنّ مبحث التوكيد الذي يتوزّع بين النحو والبلاغة يعد عاملاً حجاجياً مهماً، وهذا ما سنحاول إثباته .

الفصل الثاني:

أسلوب التوكيد في الدراسات القديمة والحديثة

ارتبطت الابتكارات اللغوية لعلمائنا العرب بدراسة أسباب الإعجاز القرآني، إذ أوقد شعلة البحث وفجر منبع الاكتشاف عندهم الذي ما انفك أن تحوّل جداول ليقعدوا لعلوم ويؤسسوا نظريات، وليس من المبالغة القول أن علمي النحو والبلاغة من أكثر العلوم العربية دراسة معتمدين القرآن الكريم مادة الإبداع والتقنين لأنهم يرون في اكتشاف دلائل الإعجاز اللغوي من أمارات التدين والعلم النافع.

يقول عبد القاهر الجرجاني حاثاً على دراسة واكتشاف مكنوناته: « فانظر أي رجل تكون إذ أنت زهدت في أن تعرف حجة الله وآثرت فيه الجهل على العلم وعدم الاستبانة على وجودها، وكان التقليد فيها أحب إليك، والتعويل على علم غيرك أثر إليك ... وهل رأيت رأياً أعجز، واختياراً أقبح، ممن كره أن تعرف حجة الله تعالى من الجهة التي إذا عرفت منها كانت أنور وأبهر، وأقوى وأقهر، وأثر أن لا يقوى سلطانها على الشرك كل القوة ولا تعلق كل العلو ».¹

ويعدّ أسلوب التوكيد من المباحث التي لقيت اهتمام لغويين فتوزعت موضوعاته بين علمي البلاغة والنحو، وهذا البحث يحاول جمع تلك الأطراف المتزامية تحت مظلة واحدة وقبل تبين أطرافه وأشكاله وسبر أغواره ودك أسواره، لا بد من الوقوف عند مفهومه، فما المقصود بأسلوب التوكيد ؟

أولاً: تعريف التوكيد:

1 -الدلالة اللغوية :

وكّد العقد والعهد أوثقه، والهمز فيه لغة، يقال: أوكدته وأكدته وإيكاداً، وبالواو أفصح أي شددته، وتوكّد الأمر وتأكّد بمعنى، ويقال وكّدت اليمين والهمز في العقد أجود، وتقول: إذا عقدت فأكّد، وإذا حلفت فوكّد ... ووكد الرجل والسرّج توكيدا شدة ...

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر دمشق، سوريا، ط1، 2007، 67 .

ويقال وكد يكد وكدا أي أصاب، ووكد وكده قصد قصده وفعل فعله، ومازال ذاك وكدي أي مرادي وهمي، ويقال: وكد فلان أكرا يكده إذا مارسه وقصده ... ويقال وكد فلان أمرا يكده وكدا، إذا قصده وطلبه.¹

وجاء في مختار الصحاح: « أكد الشيء ووكد و والواو أفصح ومعناه التقوية ».²

2 -الدلالة الاصطلاحية :

أ - عند النحاة: هو أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته ويسمى إعادة³ ويعرف بكونه: « تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، وقيل عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله ».⁴ ولا يتعد عنهما مصطفى الغلاييني حين يعرفه بقوله: « تكرير يراد به تثبيت أمر المكرر في نفس السامع، نحو: جاء على نفسه ونحو: جاء علي علي ».⁵

ب -عند البلاغيين: ارتبط مفهومه بالسياق الذي يقال فيه وبالدور الذي يضطلع به في تثبيت أمر ما لدى المتلقي، قال الزركشي: « إنما يؤتي به للحاجة، لتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب خالي الذهن ألقى إليه الكلام دون تأكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان مذكرا وجب تأكيده ... ».⁶

وفيما قاله الزركشي بيان على أن للتوكيد علاقة وثيقة بالسياق الذي يرد فيه، ويفصل أحمد مطلوب القول عندما يتحدث عن مفهوم التوكيد: « التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 3 / 466 .

2- الرازي، مختار الصحاح، ت: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990، 21 .

3- الكفوي، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ت: عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1989، 26 .

4- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1996، 71 .

5- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ت: علي سليمان بشارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، 594 .

6- بدر الدين الزركشي، البرهان في العلوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006، 399 .

إزالة الشكوك، وإمالة الشبهات عما أنت بصدد، وله مجريان: الأول عام وهو يتعلق بالمعاني الإعرابية ولا يتعلق هذا النوع بمقاصد البلاغة .

الثاني: خاص يتعلق بعلوم البيان ويقال له التكرير أيضا، وهو قسمان :

1 - ما يكون تأكيدا في اللفظ والمعنى كقوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فهذا تكرير من جهة اللفظ والمعنى، ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أورد في خطاب الثقلين الجن والإنس، فكل نعمة يذكرها أو ما يؤول إلى النعمة فإنه يردفها بقوله: "بأي آلاء ربكمَا تكذبان" تقريرا للآلاء وإعظاما لحالها ...

2 - ما يكون المعنى دون اللفظ وهذا القسم يستعمل كثيرا في القرآن الكريم وغيره، وهو ضربان:

الأول: مفيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ فقوله "الجبال" وارد من جهة التوكيد المعنوي، وفائدته تعظيم شأن هذه الأمانة ...

الثاني: غير المفيد، وهو أن ترد لفظتان مختلفتان تدلان على معنى واحد ...¹

أمّا الجرجاني فيعرّف التّوكيد من زاوية كونه إعادة للمعنى: « ... فإذا قلت: رأيت القوم كلّهم ومررت بالقوم كلّهم، كنت قد جئت بـ "كل" لئلا يتوهّم أنه قد بقي عليك من لم تره ينبغي أن يعلم أن لا نغني بقولنا يفيد الشمول أن سبيله في ذلك سبيل الشيء يوجب المعنى من أصله وأنه لولا مكان كل لما عقل الشمول ولم يكن فيما سبق من اللفظ دليل عليه كيف ولو كان كذلك لم يكن يسمّى تأكيدا. »²

1- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مؤسسة ناشرون، بيروت، لبنان، د ط، 2000، 240، 239 .

2- الجرجاني، دلائل الإعجاز، 281، 282 .

فالتوكيد بمعناه الاصطلاحي الذي سيكون محلّ الدّراسة ليس مقتصرًا فقط على تكرار اللفظ أو المعنى وهو ما ركّز عليه النّحاة أو مرتبطًا بمقامات المخاطب بين جاهل للخبر ومنكر له مثلما تناوله البلاغيون بل سيشمل أيضًا كلّ أشكاله ومظاهره الأخرى التي توزّعت في كثير من بحوث الأصوليين أيضًا ممّا سيجعل دائرة بحثنا تتسع لتشمل كل ما يمسّ التوكيد في الجملة العربية لتتحدث عن تأكيد الجملة الفعلية بنوني التوكيد، السين، سوف، لن، لام الجحود، قد التحقيقية، اللام الداخلة .

على جواب " لو " و " لولا " كما ستتحدث عن تأكيد بعض الجملة في القرآن الكريم بالتوكيد اللفظي والمعنوي الحال المؤكدة، ضمير الفصل، الأحرف الزائدة، البدل والنعت .

إذن فأسلوب التوكيد مبحث يشمل تأكيد الجملة وبعضها لتقوية الحكم الوارد فيها.

ثانيا: تقسيم الأساليب البلاغية في اللغة العربية بحسب سياقات الكلام :

الأسلوب هو الطريقة التي تصاغ وفقها الجملة لتأدية معنى ما، والأساليب البلاغية مبحث هام يندرج ضمن علم المعاني، وقد أوسعها البلاغيون القدامى والمحدثون دراسة وتحليلاً فهو يولي أهمية كبيرة لارتباط الكلام بالسياق الذي يرد فيه، والمقصود بالسياق الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، الذي يتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي: المرسل، الرسالة الكلامية والمخاطب، فلو أراد المتكلم الاستفسار عن شيء استعمل صيغة الاستفهام، وإن أراد أن يلزمه بالقيام بعمل وظف صيغة الأمر، أما إن أراد أن يلفت انتباهه استعان بالنداء، في حين أنه في الأسلوب الخبري يجد المخاطب نفسه محيراً بين تصديق الخبر أو تكذيبه، إذن: « يلقي المتكلم جملة إلى السامع، هذه الجملة تحمل دلالات معينة قصدها المتكلم من خلال كلامه، وهي تنحصر بين شيئين :

أ - إما أن يخبر المتكلم السامع شيئاً .

ب - أن يطلب من السامع القيام بعمل معين .

فالأول كأن يقول له: نجح أخوك، فهذا هنا يخبره بنجاح أخيه في الامتحان، ومضمون هذا الكلام حاصل من قبل أن يتلفظ به المتكلم، وإذا قلنا أن المتكلم يخبر السامع شيئاً حدث أو وقع قبل زمن الكلام، والثاني يطلب المتكلم من السامع عمل شيء يحدده منطوق الكلام، وهو غير حاصل أو غير حادث قبل إلقاء الجملة، وذلك مثل قولك لأخيك: ذكر دروسك أو كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ﴾¹.

ويجدر القول أن للتنويع في الأساليب الجزية والإنشائية أهمية كبيرة في إضفاء حيوية على الكلام والتأثير في المتلقي وذلك أن الأخبار الخالي من الإنشاء أو العكس يدفع المخاطب أو المتلقي بوجه عام إلى الملل والضجر، فلكي يحقق المتكلم غاياته التبليغية كان لزاماً عليه التنويع في الأساليب بين خبر وإنشاء .

1- الأسلوب الخبري :

هو الكلام المحتمل الصدق والكذب²، ومفهوم الصدق أو الكذب في الخبر يرتبط بما يعرف بالنسبة، وهي نوعان :

« 1 - نسبة تفهم من الخبر ويدل عليها الكلام، وتسمى النسبة الكلامية .

2 - نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر وتسمى بالنسبة الخارجية، فإن طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية في الإيجاب أو في النفي كان الكلام صادقا وإلا كان كاذبا .³

فإن قلنا مثلاً نجح عمرو في اجتياز شهادة البكالوريا، سمي الكلام صادقا إن كان نجاحه مطابقاً للواقع أو الخارج، وسمي الخبر كاذبا إن كان غير مطابق للواقع .

1- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، جامعة الإسكندرية، 66 .

2- الجرجاني، التعريفات، 116.

3- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2007، 43 .

ولكن مع هذا هناك استثناءات لهذا الحكم مرتبط ببعض الكلام الخبري لا كله « ففي بعض الأحيان يوصف الخبر بالصدق فقط أو الكذب فقط - لا لذاته - ولكن لأسباب أخرى خارجة عن نطاق العبارة تؤيد صدقه أو كذبه، فأخبار القرآن الكريم وأحاديث - الرسول صلى الله عليه وسلم - والبديهيات - كالواحد نصف الاثنين - لا تحتل إلا الصدق، وإن كانت تحتل الصدق والكذب من حيث هي أخبار بصرف النظر عن قائلها »¹

مما سبق يمكن القول أن الأسلوب الخبري مرتبط بمعيار الصدق والكذب الذي تتحكم فيه ظروف خارجية مرتبطة بسياق الموقف الذي قيل فيه الخبر .

أ - الإسناد الخبري:

الخبر نوعان، فقد يكون مثبتاً أو منفيًا، فمن الأول قوله عز وجل: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [سورة غافر: 15] .

ومن الثاني قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، وقد توسع البلاغيون في دراسة ارتباط الأساليب البلاغية بالمقام الذي ترد فيه وهو ما يسمى بالأغراض الأدبية، ففي الآية الأولى تقدير للعظمة الإلهية فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

والجملة الخبرية تحتكم إلى ما يعرف بالإسناد الخبري وهو: « ضم كلمة إلى أخرى على وجه يفيد بأن مفهوم إحداها وهو المحكوم به - ثابت أو منفي عن مفهوم الأخرى - وهو المحكوم عليه - ويسمى المحكوم به مسنداً، والمحكوم عليه مسنداً إليه، والنسبة بينهما إسناداً »².

1- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، 87 .

2- المرجع نفسه، 88 .

ولتوضيح هذا الكلام نعطي مثالا بقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزخرف: 47] .

ففي هذه الآية إعلان الأول " جاء " وقد أسند إلى " موسى " الذي جاء ضميرا مستترا، فلفعل هنا مسند والضمير مسند إليه، أما الفعل الثاني فهو " يضحكون " والذي أسند إلى فرعون وقومه " وقد دلّ عليهما الضمير المتصل " الواو "، فالفعل إذن مسند والواو مسند إليه، أما العلاقة بينهما فتسمى إسنادا .

وقد قسم الأسلوب الخبري إلى ثلاثة أصرب بالنظر إلى موقف المخاطب من إلقاء الخبر، وهو لا يعدو أن يكون أحد ثلاثة :

* مقام خالي الذهن: والخبر الذي يلقي إليه يسمى ابتدائيا، لأنه خال من المؤكدات مثل قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: 3] .

وأحيانا « قد لا يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم ولكنه ينزل منزلة الخالي منه لعد جريه على موجب علمه به فيلقي إليه بدون تأكيد، كما يلقي إلى الجاهل، ولا شك أن مراعاة ذلك له حظ في البلاغة أعلى من الحالة الأولى ... وهذا القول الفرزدق لهشام بن عبد المالك حينما سئل عن زين الدين العابدين وقد التقى الناس في الطواف به، فأظهر لسائله الجهل به ليصرفه عنه :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا¹

إذن فقد خرج الخبر ها هنا إلى أغراض أدبية تفهم من سياق الكلام .

* مقام المتردد: وسمي الخبر الذي يلقي إليه طلبيا لأنه مؤكد بمؤكد واحد، مثل قوله تعالى :

1- عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية علم المعاني، قدم له وراجعته وأعد فهرسه: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2002، 43 -

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3] .

فأداة التوكيد في هذه الآية هي " إن " لان المخاطب كان مترددا في قبول الخبر، هذا وقد « لا يكون المخاطب مترددا في الحكم، ولكنه ينزل منزلة المتردد إذا قدم إليه قبل الحكم ما يلوح به، فيؤكد له الحكم أيضا لتطّعه له تطّلع المتردد للطالب، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [المؤمنون: 27] .¹»

* مقام المنكر: ويسمى الخبر الذي يلقي إليه إنكاريا، وفي هذا الضرب من الخبر كون المخاطب منكرا للخبر، فالمتكلم يحتاج إلى تأكيده بمؤكدين أو أكثر، ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمُ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: 61] .

فهنا أكد الخبر بأن واللام الداخلة على الخبر، « وقد لا يكون المخاطب منكرا، ولكنه ينزل منزلة المنكر، إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار، فيؤكد له الحكم تأكيده للمنكر، كقول حجل بن فضلة:

جاء شقيق عارضا رحمه إن بني عمك فيهم رماح
هل أحدث لنا الدهر نكبة أم هل رقت أم شقيق سلاح

فإن مجيئه هكذا مدلا بشجاعته دليل على إعجاب شديد منه، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح .²»

إذن فقد قسم البلاغيون الخبر ثلاثة أضرب بالنظر إلى حال المخاطب بين خالي الذهن أو متردد في قبول الخبر أو منكر له، مما يؤكد أن البلاغة العربية دقيقة تتحرى دراسة الأساليب دراسة علمية دون إهمال لظروف الخطاب .

2 - الأسلوب الإنشائي :

1- المرجع السابق، 44 .

2- المرجع نفسه، 44 .

وهو القسم الثاني من الأساليب البلاغية، ويعرف بكونه: « قول لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته»¹ ويفصل ابن الحاجب في المقصود من الصدق والكذب بالقول: « إن الكلام الإنشائي لا يحتمل الصدق والكذب: وذلك لان معنى الصدق مطابقة الكلام بالخارج والكذب عدم مطابقته له، فإذا لم يكن هناك خارج، فكيف تكون المطابقة وعدمها ». ² ومن أمثلة الأساليب الإنشائية قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَوْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ، أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4] .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة صيغتين إنشائيتين طلبيتين هما: الأمر والاستفهام .

أ - الإنشاء الطلبي: الطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل وهو المقصود بالنظر هنا ³، وصيغة كثيرة أشهرها: الأمر، النهي، الاستفهام، الدعاء، العرض، التحضيض، الترجي، والنداء .

ب - الإنشاء غير الطلبي: وهو عكس الأول أي ما لا يستدعي مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب أما صيغته فهي التعجب، القسم، أفعال المدح والذم، كم الخبرية، وصيغ العقود .
وكثيراً ما يرتبط أسلوب التوكيد بالصيغ الإنشائية الطلبية خاصة منها، النهي، الأمر والاستفهام، وسنعرض لكل منها على حدة .

1- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، 119 .

2- الاسترأبادي، شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 225/2 .

3- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، العراق، 78 .

* **النهي:** من الصيغ الإنشائية الطلبية وهو: « طلب الكف عن الفعل لا على جهة الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية »¹، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: 8] .

ومن الثابت أن العبد لا يمكن أن ينهى المعبود لذا فقد خرج النهي إلى غرض أدبي يفهم من السياق وهو الدعاء وطلب الإجابة .

أمّا عن علاقة أسلوب التوكيد بالنهي فهو أن نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة كثيرا ما تأتي مقترنة بالفعل المضارع المسبوق بطلب كأن يكون استفهاما أو نھيا.

ويلخص ابن الحاجب في أماليه شروط مجيئ النون المؤكدة خفيفة كانت أو ثقيلة، فيرى ضرورة دخولها على المضارع الذي يفيد الاستقبال لا الحال، لان المضارع واضح بين لا حاجة فيه لتوكيد، في حين أن الغائب كان محتاجا لتوكيده فكانت النون مختصة بالطلب.²

ومن الأمثلة المؤيدة لما ذهب إليه ابن الحاجب قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمُ السَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: 61] . ففي هذه الآية ارتبط الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة " تمترن " لأنه مسبق بنهي .

* **الاستفهام:** هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أولا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور³ وهو أيضا: « طلب العلم بشيء مجهول بواسطة إحدى أدوات الاستفهام، ومنها:

1 - الهمزة: ويطلب بها أحد أمرين :

1- عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، 124 .

2- ينظر: أمالي ابن الحاجب، ت: قصي الحسين، دار الهلال، بيروت، ط1، 1998، 558/2 .

3- الجرجاني، التعريفات، 43 .

أ - التصديق: وهو طلب النسبة .

ب - التصور: وهو طلب تعيين المفرد والمسؤول عنه هو ما يليها مباشرة، وله معادل يذكر بعد أم ويجوز حذفه .

2 - هل: تختص بالتصديق ويمتنع معها ذكر المعادل .

3 - بقية الأدوات تختص بالتصور وهي: من، متى، أيان، أين، كيف، أنى، كم، أي¹ وعن علاقة أسلوب الاستفهام بالتوكيد، فلا يختلف كثيرا عما قلناه في العلاقة بينه والنهي، فالفعل المضارع يجوز توكيده بنوني التوكيد إن كان مسبقا بطلب والاستفهام أحد هذه الصيغ الإنشائية ويفصل سيبويه الكلام قائلا: «.. لأنك تريد أعلمني إذ استفهمت، وهي أفعال غير واجبة فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهي، فإن شئت أقحمت النون، وإن شئت تركت، كما فعلت ذلك

في الأمر والنهي، وذلك قوله: " هل تقولن "، و " أتقولن ذاك " و " كم تمكثن " و " انظر متى تفعلن " وكذلك جميع حروف الاستفهام².

* الأمر: من الصيغ الإنشائية الطلبية وفيه يطلب: « إنفاذ أمر لم يكن حاصلًا قبل الطلب، وهذا الأمر يطلب عادة من جهة آمرة أعلى من الجهة المأمورة وهذا ما يعرف بالأمر الحقيقي وصيغه أربعة: فعل الأمر، المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل أمر، المصدر النائب عن فعل الأمر³، ومن أمثلته في سورة الحواميم قوله عز وجل في الآية العاشرة من سورة الدخان: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، وفيه ترهيب من هذا اليوم وحث على العمل قبل مجيئه وتأكيد على قدومه لا محالة .

1- عبدالفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، 132 .

2- سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، ط1، 513/2 .

3- عبد الفتاح لاشين، المعاني في أساليب القرآن الكريم، 121 .

أمّا علاقة صيغة الأمر بأسلوب التوكيد فكبيرة لأن فعل الأمر من أكثر المواضيع التي ترد فيها نونا التوكيد.

إنّ الهدف من الحديث عن تقسيم الأساليب البلاغية هو إيضاح علاقة أسلوب التوكيد بها، فالبلاغيون دققوا في ضرب الخبر وربطوها بموقف المخاطب من الرسالة الكلامية التي قد ترد خالية من التوكيد أو مؤكدة .

لكنّ النظرة البلاغية لأسلوب التوكيد قاصرة وحدها لأنها ستكون نظرة من زاوية واحدة للبحث، ونحن إن أردنا دراسة عملية دقيقة لهذا الأسلوب وجب علينا التعرّيج على نظرة النحويين له .

ثالثاً: أثر التبويب النحوي في دراسة أسلوب التوكيد :

ارتبط علم النحو في اللغة العربية بمعنى الإعراب وهو معرفة حركة أواخر الكلمات وتعليقها، فلو نظرنا إلى الآية: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: 19] فكلمة " أعداء " تعرب نائب فاعل لأنها جاءت مرفوعة، وليس لأنها نابت في الحقيقة عن الفاعل الذي هو الله، فأصل الجملة هو " يحشر الله أعداءه " فكلمة " أعداء " وقع عليها فعل الحشر ولم تقم به، ولكن عندما بينت الجملة للمجهول صارت نائب فاعل، مما يدل على أن المنهج الذي سيطر على التبويب النحوي منهج شكلي محض .

ولم ينأ أسلوب التوكيد عن هذه النظرة الشكلية، وهو يعد من الفضلة، التي تعرف بكونها: « اسم يذكر لتتميم معنى الجملة وليس أحد ركنيها أي ليس مسندا ولا مسندا إليه ».¹

ومعنى التوكيد عند النحويين يضيف ليشمل التوكيد اللفظي والمعنوي، ويعرفون الأول بالقول: « التأكيد اللفظي ويسمى تأكيداً صريحاً وهو تكرير اللفظ الأول أو اللفظ المكرر ».¹

1- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 30/1 .

أما الثاني فهو: تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول فالأول «كجاء علي نفسه، والمحمدان أنفسهما، " والزيدون أنفسهم " والعين كالنفس، والثاني " كجاءت الهندان كلتاها و " اشترت المزرعة كلها " " وحضر الأحاب كلهم " ²، ومثال ذلك قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا ضريتموها فتضرم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم ³

ويدرج النحاة التوكيد ضمن التوابع وهي: الصفة، البدل، عطف البيان والعطف .

1 - الاتفاق اللفظي بين التوكيد وبقية التوابع :

لا شك أن هناك أوجه اتفاق بين التوابع جعلت النحويين يصفونها في باب واحد، والأكثر من هذا أن مفهومها أحيانا يكون مت دخلا، وهذا ما نجده عند أبي علي الفارسي الذي يجعل التوكيد والنعته اسمين لمسمى واحد: « التوكيد بمنزلة النعت، تقول (جاءني زيد نفسه) لأنك أردت أنه جاءك لا غيره، إذ قد يجوز أن يكون إذا قلت: (جاءني زيد) أن يكون غير زيد جاءك، فإذا قلت: نفسه، فقد علم أنه جاءك لا غيره » ⁴ . فهو يرى أنه بمنزلة النعت لما فيهما من إيضاح وبيان للمتبوع، ويمكن إيجاز السمات التي تشترك فيها التوابع كالآتي :

أ - التطابق في العلامة الإعرابية: سميت هذه الأسماء توابعا لأنها تتبع المتبوع في العلامة الإعرابية، فهي لم تدرج في باب المجرورات أو المنصوبات أو المرفوعات، لأنها قد تكون أحد الثلاثة بالنظر

1- التهانوي، كشف إصلاحات الفنون، ت: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 83/1 .

2- عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأنصار، مصر، ط15، 1978، 508 .

3- عبد الله مزيود وزهير مصطفى اليازجي، شرح المعلقات العشر، منشورات دار القلم، حلب، سوريا، ط1، 1998، 46 .

4- أبو علي الفارسي، المسائل المنثورة، ت: مصطفى الحديري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1986، 47 .

إلى الحركة الإعرابية للمتبوع، يقول ابن سراج: « فجميع هذه تجري الثاني ما جرى على الأول من الرفع والنصب والخفض ».¹

ب - الرتبة: كل التوابع ترد متأخرة عن المتبوع أي ثانية لا أولى، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرْفِيُّوْسُ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: 49]، " فيؤوس "، " قنوط " كلمتان مترادفتان، لذا فالثانية توكيد لفظي من الأولى، وقد جاءت مطابقة لها في الحركة الإعرابية وهي الرفع .

ج - النظام: وهو حاجة كل تابع لمتبوعه ذكرًا وحذفًا فالصفة لا بد لها من موصوف، والبدل لا بد له من مبدل منه، والمعطوف لا بد له من معطوف عليه، والتوكيد لا بد له من مؤكد، وتعد هذه القرينة متلازمة مع قرينة الرتبة، إذ يتماشى هذا النظام مع نظام الرتبة، فلا يفصل بينهما بأجنبي إلا ما ذكر من اعتراض ما يسمى بالجملة الاعتراضية.²

إذن فبين التوكيد وبقية التوابع سمات مشتركة أغلبية شكلية ظاهرية، ولكن أين يمكن الاختلاف بينهما خاصة وأن هناك من النحويين ما يجعله والنعت وجهان لعملة واحدة ؟

2 - الاختلاف بين التوكيد وبقية التوابع :

إن الاتفاق السابق الذكر بين التوابع لا يلغي ما بينهما من فروقات، سنحاول كشفها، ومن أهمها أن التوكيد ينبني على فكرة التكرار، سواء كان هذا التكرار لفظيا أو معنويا، وهو ما أشار إليه سيويو حين قال: « هذا باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا ... فإنما هذا كقولك " قد ثبت زيد أميرا قد ثبت " فأعدت (قد ثبت) توكيدا »³.

وهو يختلف عن البدل في كون هذا الأخير يختلف عن تابعه في الدلالة، وهذا ما أشار إليه الرضي بقوله « وإنما يقدم التأكيد على البدل، لأن مدلول البدل غير مدلول متبوعه في الحقيقة، ومدلول التأكيد

1- جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ت: عبد الحميد هندواي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، 144/3 .

2- عائشة عبيدة، دراسة وظيفية لاسلوب التوكيد في القرآن الكريم، (مخطوط)، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2009/2008، 14 .

3- الاسترابادي، شرح الكافية في النحو، 342/1 - 343 .

مدلول متبوعة»¹. ففي قوله -عز وجل-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: 52-53] إيضاح للمراد فبدل جملة " صراط المستقيم هو " صراط الله ". إذ نلاحظ أن الثانية وضحت معنى الأول وأبانت أكثر وأتت بالجديد الذي يذهب الغموض واللبس، أما حين قولهم " جاء القوم كلهم " فكلمة " كلهم " لم تأت بالجديد إلا أنها أكدت عدم استثناء أي فرد من المجيء، وهذا هو الفرق الجلي بين التوكيد وبقية التوابع، فما قبل عن البديل يقال على النعت الذي يصف ما قبله فيوضح المعنى ويزيده دقة وتحديداً، وهذا يدل على أن: «التأكيد هو الأول في معناه، والنعت هو الأول على خلاف معناه، لان النعت يتضمن حقيقة الأول، وحالا من أحواله، والتأكيد يتضمن حقيقته لا غير، فكان مخالفا له في الدلالة»².

أما الفرق بين التوكيد والعطف، فإن هذا الأخير يفصل بينهما متبوعه بحرف عطف في حين أن التوكيد لا يفصل بينه والتوكيد فاصل، ويفصل ابن سراج القول في الفرق بين التوكيد وغيره من التوابع بالقول: «إعلم أن العطف يشبه الصفة والبديل من وجه، ويفرقهما من وجه، وأما الوجه الذي أشبههما فيه تابع لما قبله في إعرابه، وأما الوجه الذي يفرقهما فيه فإن الثاني غير الأول، والنعت والبديل هما الأول، ألا ترى أنك إذا قلت: زيد العاقل، فالعاقل هو زيد، وإذا قلت: " مررت بزيد أخيك "، فأخوك هو زيد، وإذا قلت " قام زيد وأخوك "، فأخوك غير زيد " ³.

إن ما قلناه آنفا يؤكد ما قررناه في البداية فأسلوب التوكيد موضوع متوزع بين البلاغيين والنحويين، وتنوعت فيه الدراسات بين القديم والحديث، وهذا ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي. رابعا: أسلوب التوكيد في الدراسات القديمة .

1- سيبويه، الكتاب، 125/2 .

2- ابن عيش، شرح المفصل للزمخشري، ت: إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 218/2.

3- أبو بكر بن سراج، الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، 305/2.

كما أسلفنا القول توزعت مواضيعه بين النحاة والبلاغيين وإن كان نضوجه واستواؤه على يد علماء الحقل الثاني أكبر، مما حد بأحد الدارسين إلى القول: «إن علماء المعاني هم النحاة الحقيقيون»¹ لأنهم ربطوا الجملة بمقتضى الحال، وأحوال المخاطب، وهذا ما لا نجده عند سيبويه وأقرانه الذين كان اهتمامهم بالجملة وتركيبها اهتماما شكليا محضاً .

1 - أسلوب التوكيد من خلال الدرس النحوي: يكاد يكون هذا الأسلوب قرينا بفكرة التكرار، ومقتصر على نوعين هما التوكيد اللفظي والتوكيد المعنوي، أما المباحث النحوية الأخرى للتوكيد كنوني التوكيد وإنّ وأنّ فقد جاءت في أبواب متفرقة، سنحاول جمع شتاتها وإدراجها كلها ضمن أسلوب التوكيد.

أ - التوكيد اللفظي: من خلال اسمه يفهم أنه شديد الصلة بتكرار اللفظ بعينه، يعرفه ابن عقيل بقوله: « وهو تكرار اللفظ الأول بعينه اعتناء به نحو "ادرجي ادرجي"، وقوله تعالى ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21] .

أمّا إذا أريد تكرير لفظ الضمير المتصل للتوكيد، لم يحز ذلك إلا بشرط اتصال المؤكّد بما اتصل بالمؤكّد، نحو مررت بك بك "و" رغبت فيه فيه"، ولا نقول "مررت بكك"، أمّا إذا أريد توكيد الحرف الذي ليس للجواب، يجب أن يعاد مع الحرف المؤكّد، ما يتصل بالمؤكّد نحو: إن زيدا إن زيدا قائم، ولا يجوز إن إن زيدا قائم .

فإن كان الحرف جوابا كنعم وبلى، وجير، وأجل، وإي، ولا، جاز إعادته وحده ؛ فيقال لك: " أقام زيد " ؟ فتقول: "نعم نعم"، ويجوز أن يؤكّد بضمير الرفع المنفصل كلّ ضمير متصل مرفوعا كان نحو " قمت أنت " ومنصوبا " أكرمتني أنا " أو مجرورا نحو: " مررت به هو ".²

1- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999، 29 .

2- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ت: ح فاخوري، دار الجليل، بيروت، ط5، 1997، 225، 222/2 .

ويدرج النحاة مفهوم الإلتباع بالتوكيد، ويقصدون به " أن تتبع الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً، حيث لا يكون الثاني مستعملاً بانفراده في كلامهم¹، أما أقسامه فهي²:

أ / أن يكون للثاني معنى ظاهر، نحو: هنيئاً مريئاً، فالهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته.

ب / أن لا يكون للثاني معنى ظاهر أو لا يكون له معنى أصلاً: بل ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى نحو: حسن بسن فسن .

ج / أن يكون له معنى متكلف غير ظاهر، نحو: خبيث نبيث .

والإلتباع داخل في حكم التوكيد على رأي أغلب النحاة ودليلهم أن الثانية لا تأتي وحدها منفردة وإنما تحتاج إلى الأولى وترد دوماً تابعة لها .

ب - التوكيد المعنوي: إن كان التوكيد اللفظي يختص بالألفاظ فالتوكيد المعنوي يمس جانباً بمعنى، « وهو تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، وقيل: عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله».³

ومن خلال المصادر النحوية نستنتج أن هذا النوع ينقسم إلى قسمين⁴ : * أحدهما: ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكد، وله لفظتان: النفس والعين، وذلك نحو: " جاء زيد نفسه " و " نفسه " توكيد لزيد وهو يرفع توهم أن يكون التقدير " جاء خبر زيد أو رسوله " و " كذلك جاء زيد عينه " ولا بد من إضافة النفس أو العين إلى ضمير يطابق المؤكد نحو " جاء زيد نفسه، أو عينه وضد نفسها أو عينها " .

1- الكفوي، الكليات، 35 .

2- الاسترأبادي، شرح الكافية، 333/1 .

3- الجرجاني، التعريفات، 89 .

4- ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 215/2-222 .

ثم إذا كان المؤكد بهما مثنى أو مجموعا جمعتهما على مثال أفعل، فتقول: " جاء الزيدان أنفسهما " أو أعينهما، والهندان أنفسهما، أو أعينهما والزيدون أنفسهم، أو أعينهم، والهندات أنفسهن أو أعينهن.

* ثانيهما: هو ما يرفع توهم عدم إرادة الشمول، والمستعمل لذلك: " كل، وكلا، وكلتا، وجميع ما كان ذا أجزاء يصح وقوع بعضهما موقعه، نحو: جاء الراكب كله، أو جميعه، والقبيلة كلها، أو جميعها، والرجال كلهم، أو جميعهم، والهندات كلهن أو جميعهن، ولا تقول: جاء زيد كله، ويؤكد بكلا المثنى المذكور، نحو " جاء الزيدان كلاهما "، وبكلتا المثنى المؤنث، نحو: "جاءت الهندان كلتاها ".

* المطابقة: هذا لأن التوكيد من التوابع، ومن شروط التابع أن يطابق المتبوع في الحركة الإعرابية وفي الأفراد والتنثية والجمع، في مثل قولنا " جاء زيد نفسه، أو عينه، وهند نفسها أو عينها " ¹.

إلا أنه في التنثية يمكن الإتيان بلفظ التوكيد مجموعاً ²، مثل قولنا: جاء الزيدان أنفسهما والأمر نفسه

يقال عند الحديث عن الحركة الإعرابية، فإن ورد المتبوع مرفوعاً جاء التابع مرفوعاً كذلك مثل قولنا:

قرأت الجريدة نفسها، مررت بزيد نفسه، جاءت هند نفسها .

* الرتبة والتضام: إن التوكيد يجب أن يكون متأخراً عن المؤكد أو المتبوع فلا يتقدمه، والتضام هو حاجة التابع للمتبوع ذكراً وحذفاً، وإن تقدم لفظ التوكيد على المؤكد، لم يكن المعنى الذي استفيد منه هو ذاته، إذ تقول «لم ألق كل القوم و " لم آخذ كل الدراهم "، فيكون المعنى أنك لقيت بعضاً من القوم، ولم تلق الجميع، وأخذت بعضاً من الدراهم، وتركت الباقي، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً

1- المرجع السابق، 215/2 .

2- ابن هشام، شرح شذور الذهب، تح: ح الفخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988، 458 .

من القوم ولم تأخذ شيئاً من الدراهم، وتعرف ذلك بأن تنظر إلى (كل) في الإثبات وتتعرف فائدته فيه
«¹. إذا استفاد من هذا أن لفظة "كل" إن تقدمت لم تفد معنى الشمول كما في حال التوكيد المعنوي .

* **الربط:** إذ لابد من رابط يصل بين المؤكّد والمؤكّد، وهذا الرابط هو الضمير المتصل بالمتبوع
والعائد على التابع، ففي: جاء القوم كلهم، الضمير "هم" ربط بين لفظة "كل" وهي التوكيد، ولفظة
القوم وهي المؤكّد ولا يصح أن يقال: جاء القوم كلّ .

إن التوكيد الصناعي بقسميه: اللفظي والمعنوي من أبرز مباحث هذا الأسلوب عند النحاة، وهذا
لن يمنعنا من تتبع بعض المباحث النحوية الأخرى التي تدرج ضمنه .

ج - الحروف الزائدة: وهي من مؤكّدات بعض الجملة في اللغة العربية، وقد جمعها المطردي في
كلام منظوم يقول: « وقد نظمناها فقلت :

فهاك حروفاً بالزوائد سميت وجاءت لتوكيد كما نص أهل فن

فباء ولا م ثم كاف وما ومن وزيد عليها لا وقالوا بأن وأن «²

أمّا القدماء فحصروها في إن، أن، إذ، إذا، إلى، أم، الباء، الفاء، في، اللام، لا، ما، من، الواو .³

وتسميتها بالحروف الزائدة تسمية أطلقها البصريّون وسموها أيضاً لغواً، أمّا الكوفيون فيسمونها
حروف صلة، ويسمونها أيضاً حشواً⁴، ويرى عبد الرحمن المطردي أن تسميتها بحروف الصلة أنسب

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، 215 .

2- عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1986، 356 .

3- السيوطي، معترك الاقران في إعجاز القرآن الكريم، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، 256/1 .

4- ابن يعيش، شرح المفصل، 128/8 .

وأكثر قبولاً لما فيها من معنى الاتصال والارتباط لأنه يتوصل بها إلى زيادة الفصاحة أو إلى إقامة وزن أو سجع وما إلى ذلك¹.

أمّا عن وصف هذه الحروف بالزائدة فقد أنكرها كثيراً من العلماء، يقول الزركشي «ومراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، فإن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159]، معناه "ما لنت لهم إلا رحمة"، وهذا قد جمع نفياً وإثباتاً، ثم اختصر على هذه الإرادة، وجمع فيه بين لفظي الإثبات وأداة النفي التي هي (ما)². يؤكد على أن أكثر العلماء ينكرون إطلاق لفظة الزائد في كتاب الله - عزّ وجلّ - المنزه والمعجز. وإن كان النحويون يؤكدون على أن معنى الزيادة متصل بالجانب الإعرابي، فهذه الأحرف ليست مؤثرة في إعراب الجملة، ففي قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: 32]، فالباء الزائدة دخلت على الخبر "معجز" وتعرب الكلمة بعدها: خبر مجرور لفظاً منصوب محلاً، لا اسماً مجروراً للباء، سنعرض لبعضها مما له علاقة وثيقة بموضوع بحثنا.

- الباء: ومعانيها كثيرة حصرها صاحب المفتى في أربعة عشر معنى هي: الإلصاق، التعدية، الاستعانة، السببية، المصاحبة، الظرفية، البدل، المقابلة، المجاوزة، كـ "عن"، الاستعلاء، التبعيض، القسم، الغاية، والتوكيد.

وتزاد للتوكيد في ستة مواضع:

أحدها: الفاعل، وزيادتها فيه: واجبة، وغالبة، وضرورة، فالواجبة في نحو: "أحسن يزيد" في قول الجمهور: إن الأصل أحسن زيد بمعنى صار ذا حسن، ثم غيرت صيغة الخبر إلى الطلب وزيدت "الباء" اصطلاحاً للفظ.

1- ينظر عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 356.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن الكريم، 48/2.

والغالبية في فاعل كفى، نحو: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرعد: 43]، ولا تزداد الباء في فاعل "كفى" التي بمعنى أجزأ أو أغنى ولا التي بمعنى وقى .

والثاني: مما تزداد فيه الباء: المفعول، نحو: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195].

والثالث: المبتدأ، وذلك في قولهم "بحسبك درهم" و "خرجت فإذا بزيد" و "كيف بك إذا كان كذا" ومنه عند سيويه ﴿بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 6] .

والرابع: الخبر، وهو ضربان: غير موجب فينقاس نحو "ليس زيد بقائم" و ﴿مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ﴾ [البقرة: 74] .

والخامس: الحال المنفي عليها .

والسادس: التوكيد بالنفس والعين، وجعل منه بعضهم قوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بَأَنْفُسِهِنَّ﴾ من سورة [البقرة: 228]¹.

- من: وتزداد للتنصيص على العموم أو لتوكيده، مثال الأول: "ما جاءني من رجل" والثاني كقولهم: ما جاءني من أحد، وشرط زيادتها في النوعين ثلاثة أمور :

أحدها: تقدم نفي أو نهي أو استفهام بـ "هل"، نحو: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: 59]. ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ﴾ [الملك: 3]، وتقول "لا يقيم من أحد".

والثاني: تنكير مجرورها .

1- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007، 104 - 114 .

والثالث: كونه فاعلاً، أو مفعولاً به، أو مبتدأ¹.

ومن أمثلتها في الحواميم قوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: 31]، وهنا ورد مجرورها مفعولاً به .

و الأخفش يجوز الزيادة في الإيجاب ويستشهد بقوله عز وجل: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: 271]².

- **الكاف**: تتعدد معانيها باختلاف السياقات التي ترد فيها ؛ إذ ترد زائدة للتوكيد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]، وقد « قال الأكثرون: التقدير ليس شيء مثله، إذ لو تقدر زائدة صار المعنى ليس شيء مثل مثله، فيلزم المحال وهو إثبات المثل، وإنما زيدت لتوكيد نفي المثل، لان زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً، قاله ابن جني، ولأنهم إذا بالغوا في نفي الفعل عن أحد قالوا: وإنما زيدت هنا لتفصيل الكاف من الضمير »³.

- **ما: ل " ما " أوجه** إعرابية كثيرة، وما يهمننا إفادتها للتوكيد، وهي نوعان: كافة وغير كافة، والكافة ثلاثة أنواع: أحدها الكافة عن عمل الرفع، ولا تتصل إلا بثلاثة أفعال: قل، كثر، وطال، وعلة ذلك شبههّن ب، " رب " ولا يدخلن حينئذ إلا على جملة فعلية صرح بفعلها .

والثاني: الكافة عن عمل النصب والرفع وهي المتصلة ب " إن " وأحواتها، نحو: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: 171] .

الثالث: الكافة عن عمل الجرو تتصل بأحرف وظروف نحو: ربّ، الكاف، من الباء، بعد، بين، حيث، إذ، كقوله تعالى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: 138] .

1- ينظر المرجع السابق، 310 - 311 .

2- الأخفش الأوسط، معاني القرآن الكريم، ت: إبراهيم شمس الدين، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 8 .

3- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، 179 .

وغير الكافة نوعان: عوض وغير عوض، فالعوض في موضعين، أحدهما في نحو قولهم: "أما أنت منطلقا انطلقت" والأصل: انطلقت لأن كنت منطلقا، فقدم المفعول له للاختصاص، وحذف الجار و"كان" للاختصار، وجيء بـ "ما" للتعويض وأدغمت النون للتقارب، والعمل عند الفارسي و ابن جني لـ "ما" لا لـ "كان" والثاني في نحو قولهم: "افعل هذا إما لا" والأصل: إن كنت لا تفعل غيره .

وغير العوض تقع بعد الرفع كقولك: "شتان ما زيد وعمرو"، وبعد الناصب الرفع نحو "ليتما زيد قائم" وبعد الجازم نحو: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ [الأعراف: 200] . وبعد الخافض مثل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: 159] .

وزيدت قبل الخافض كما في قول بعضهم: ما خلا زيد، وما عدا عمرو، وتزاد بعد أداة الشرط، جازمة كانت نحو: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: 78]، وبين المتبوع وتابعه في نحو: ﴿مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ﴾ [البقرة: 26]¹ .

- لا: وترد في الكلام زائدة لمجرد تقويته وتوكيده، في نحو قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلاَّتَبَّعْنَ﴾ [طه: 92 - 93] . ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: 12] .

وتنقسم "لا" هذه إلى قسمين :

- الزائدة من جهة اللفظ: وذلك لوصول عمل ما قبلها إلى ما بعدها، وليست زائدة من جهة المعنى، لأنها تفيد النفي، كقولهم: "جئت بلا زاد" و"غضبت من لا شيء" .

1- ينظر: المرجع السابق، 243 .

- الزائدة من جهة المعنى: وتأتي لتوكيد النفي، نحو: قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاحة: 7] ف(لا) زائدة لتوكيد النفي، قالوا وتعيّن دخولها في الآية لئلا يتوهم عطف الضالين على (الذين) ¹.

د - التوكيد بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة: يؤكّد بها الفعل المضارع وفعل الأمر، يقول عنها صاحب الكتاب: «إعلم أنّ كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة، كما أن كل شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة ... فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيداً، فمن مواضعها الفعل الذي للأمر والنهي، وذاك قولك: لا تفعلن ذاك واضربنّ زيدا، فهذه الثقيلة، وإذا خففت قلت: افعلن ذاك ولا تضربن زيدا، ومن مواضعها الفعل الذي لم يجب الذي دخلته لام القسم، فذاك لا تفارقه الخفيفة أو الثقيلة لزمه ذلك كما لزمته اللام في القسم ... فأما الأمر والنهي فإن شئت أدخلت فيه النون وإن شئت لم تدخل، لأنه ليس فيهما ما في ذا، وذلك في قولك: لتفعلن ذاك، ولنفعلان ذاك، ولتفعلنّ ذاك، فهذه الثقيلة، وإن خففت قلت: لتفعلن ذاك ... ²»، وقد قلّ دخولها على الفعل المضارع الواقع بعد "ما" الزائدة التي لا تصحب "إن"، والواقع بعد "لم"، والواقع بعد "لا" النافية والواقع بعد غير "إما" من أدوات الشرط .

ومن أحكام نون التوكيد الخفيفة أنّها لا تقع بعد ألف، فيقال: "اضربان" بدل "اضربان"، وإن أكّدت الفعل المسند إلى نون الإناث بنون التوكيد وجب أن يفصل بين نون الإناث ونون التوكيد بألف، كراهية توالي الأمثال، فيقال: "اضربنّ" وإن ولي الفعل المؤكّد بالنون الخفيفة ساكن وجب حذف النون

1- سيبويه، الكتاب، 508/3 - 509 .

2- ينظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 306/2 - 312 .

لالتقاء الساكنين، فتقول: " اضرب الرجل " بفتح الباء والأصل " اضربن " فحذفت نون التوكيد لملاقاة الساكن وهو لام التعريف.¹

هـ - القسم: هو من أكثر أشكال التوكيد شهرة، وقد زخر القرآن الكريم بالكثير من نماذجه، فتعددت أشكاله وصوره، والقسم جملة فعلية أو غير فعلية تؤكد بها جملة موجبة أو منفية نحو قولك بالله، وأيم الله، وأمانة الله، وعليّ عهد الله لأفعلنّ أو لا أفعل، ومن شأن الجملتين أن تنتزلا منزلة جملة واحدة كجملتي الشرط والجزاء، ويجوز حذف الثانية هاهنا عند الدلالة جواز ذلك².

أمّا حذف جملة القسم فكثير جدا، وهو لازم مع غير الباء من حروف القسم، وحيث قيل: لأفعلنّ أو " لقد فعل " أو " لئن فعل " ولم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم مقدرة، نحو: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: 21] .

أمّا حذف جواب القسم فيجب إذ تقدم عليه أو اكتنفه ما يغني عن الجواب، فالأول نحو: " زيد قائم والله " ومنه: " إن جاءني زيد والله أكرمه " والثاني نحو: " زيد والله قائم " فإن قلت: " زيد والله إنّه قائم، أو لقائم " احتمل كون المتأخر عنه خبرا عن المتقدم عليه، واحتمل كونه جوابا وجملة القسم وجوبه الخبر³.

2 - أسلوب التوكيد من خلال الدرس البلاغي :

1- ينظر ابن عقيل، شرح ابن عقيل، 2/306-312.

2- ينظر: الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 344 .

3- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 604 .

سبق وأشرنا إلى أن البلاغيين هم النحاة الحقيقيون لأنهم ربطوا دراسة الجملة بسياقات الكلام ضمن علم المعاني، وقد لقي أسلوب التوكيد عناية خاصة من قبلهم، لعلاقته الوطيدة بمقتضى الحال، وأحوال المخاطبين عند تلقيهم الرسالة الكلامية .

والقضايا المتعلقة بهذا الموضوع كثيرة، سنركز على ماله صلة بمدونة بحثنا :

أ - القصر: مصطلح بلاغي يقصد به: « تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون تأن كقولك زيد شاعر ى منجم لمن يعتقد شاعرا ومنجما أو قولك زيد قائم لا قاعد لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح »¹.

وهو نوعان: حقيقي وغير حقيقي، وكل واحد منهما ضربان قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف، والمراد الصفة المعنوية لا النعت، والأول من الحقيقي كقولك: ما زيد إلا كاتب إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام لأنه ما من مقصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها وتتعسر، والثاني منه كثير كقولنا ما في الدار لو لا زيد².

وللقصر طرق كثيرة أشهرها أربعة: العطف بلا أو بل أو لكن، والاستثناء من النفي وإنما، والتقديم.

والعطف أقوى هذه الطرق في الدلالة على القصر، للتصريح فيه بالإثبات والنفي، ويليهِ في ذلك الاستثناء من النفي، ثم إنما، ثم التقديم، ودلالته على القصر بالذوق والنظر في سر التقديم حتى يفهم

1- السكاكي، مفتاح للعلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت، دط، 125 .

2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 70 .

بالقارئ الحالية أنه للتخصيص ونفي الحكم عن غير المذكور فيه، أما دلالة الثلاثة قبله على القصر فبالوضع لا بالذوق¹.

ومن أمثلة التقديم قولك في قصر الموصوف على الصفة أفراداً شاعر هو لمن يعتقده شاعراً وكتاباً، وقبلها قائم هو لمن يعتقده قاعداً².

ويعد القصر من أهم أشكال التوكيد، وقد أولاه الباحثون عناية فائقة فاجتهدوا في تقسيماته إلى جانب تقسيمه إلى حقيقي وغير حقيقي، قسموه باعتبار المخاطب ثلاثة أقسام:

* قصر أفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة بين شيئين فأكثر، نحو: إنما الله إله واحد خوطب به من يعتقد أن الله ثالث ثلاثة.

* قصر قلب إذا كان المخاطب يعتقد عكس الحكم، فتقلب عليه اعتقاده، نحو: ما شاعر إلا شوقي، رداً على من زعم أن غيره أشعر منه.

* قصر تعيين إذا كان المخاطب متردداً في الحكم نحو ما شاعر إلا شوقي رداً على من تردد في إثبات الشعر له ولبعض الشعراء الآخرين³.

ومن فوائده أنه يجعل الجملة الواحدة مقام جملتين مع الإيجاز، ويمكن الكلام، ويقرّره في الذهن، وينفي عن الفكر كلّ إنكار وشك⁴.

ب - تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأکید الذم بما يشبه المدح: من أساليب التوكيد: تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو أن يبالغ في المدح إلى أن يأتي بعبرة يتوهم السامع في بادئ الأمر أنه ذم، وهو

1- عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، 49 - 50.

2- ينظر: الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، 1997، 79.

3- ينظر أحمد المراغي، علوم البلاغة، 157.

4- بكري شيخ أحمد، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط9، بيروت، لبنان، 2004، 162/1.

ضربان: أفضلها أن ينفي عن الممدوح صفة ذم ويستثني من صفة الذم المنفية صفة مدح مقدر دخول تلك الصفة الحميدة في صفة الذم، ومنه قول النابغة الذبياني :

لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب¹

فتخيّل في البيت السابق أولاً أن فلول السيوف عيب، فدخل في عموم العيب المنفي، ثم أخرجته بالاستثناء، والتأكيد في المدح فيه من وجهين :

الأول: أنه كدعوى الشيء بدينه، كأنه استدل على أنه لا عيب فيهم بأن ثبوت عيب فيهم معلق بكون فلول السيوف عيباً، وهو محال .

الثاني: أن الأصل في الاستثناء الاتصال فذكر أداة الاستثناء قبل ذكر ما بعدها يوهم إخراج شيء مما قبلها وأنه إثبات عيب، فإذا جاء المدح بعدها تأكد المدح، لإثبات مدح بعد مدح .

أما الثاني أن يثبت لشيء صفة مدح وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، كقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: 25-26]².

أمّا تأكيد الذمّ بما يشبه المدح، فهو عكس الأول، وفيه ضربان :

«أحدهما: أن يستثني من صفة مدح منفية عن الشيء صفة الذم، له بتقدير دخولها فيه، أي دخول صفة الذم في صفة المدح كقولك: " فلان لا خير إلا أنه يسيء إلى من أحسن إليه " .

والثاني: أن يثبت للشيء صفة ذم ويعقب بأداة الاستثناء يليها صفة ذم أخرى له، كقولك: " فلان فاسق إلا أنه جاهل³ " .

1- الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شعيّو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1987، 244/1 .

2- السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تح: خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 368/1 .

3- التفتازاني، المطول (شرح تكملي المفتاح)، ت: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، 676 .

ج - التقديم والتأخير: وهو من أهم المباحث التي شغلت البلاغيين والنحاة على حدّ سواء، وهو نوعان: تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذ قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد وضرب عمرا زيد، معلوم أن " منطلق " " وعمرا " لم يخرججا بالتقديم عما كان عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله، كما يكون إذا أخرت وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه، وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ، ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا، ومثاله ما تصنعه يزيد والمنطلق حيث تقول مرة: زيد المنطلق وأخرى المنطلق زيد¹.

ويفسر علماء البلاغة سبب التقديم في بعض السياقات، يقول القزويني مفسرا تقديم المفعول ونحوه على الفعل (المسند) بأنه لرد الخطأ في التعيين كقولك: " زيدا عرفت " لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا وأنه

غير زيد، وأصاب في الأول دون الثاني، وتقول لتأكيده وتقديره: " زيدا عرفت لا غيره " ولذلك لا يصح أن يقال: " ما زيدا ضربت ولا أحدا من الناس " لتناقض دلالاتي الأول، والثاني ذلك أن المعنى يكون في الجملة الأولى على أن هناك ضربا فإن قلت " ولا أحدا من الناس " تناقض الغرضان، ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده كقولك " ما زيدا ضربت ولكن أكرمته " لان مبنى الكلام ليس على أن الخطأ في الضرب، فترده إلى الصواب في الإكرام، وإنما هو على الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد

1- الجرجاني، دلائل الإعجاز، 142 - 143 .

فرده إلى الصواب أن تقول " ولكن عمرا "، وأما نحو قولك " زيدا عرفته " فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب أي عرفت زيدا عرفته¹، فهو بذلك يشير إلى أن اللفظ المكرر دليل على التوكيد.

د - الفصل والوصل: الفصل في عرف البلاغيين ترك عطف بعض الجمل على بعض بحروفه²

والوصل عطف بعض الجمل على بعض³، وقد أورد الجاحظ من بين تعاريف البلاغة: « قيل للفارسي: ما البلاغة ؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل »⁴.

وممكن التوكيد الذي اعتنى به البلاغيون في هذا الموضوع هو العطف لكمال الاتصال إذ يكون لثلاثة أمور، أولها: أن تكون الثانية مؤكدة للأولى، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط، وهو قسمان: الأول: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2] . فإن وازن " لا

ريب فيه " في الآية وازن نفسه في قولك: " جاءني الخليفة نفسه " فإنه لما بولغ " في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال يجعل المبتدأ " ذلك " وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أنه مما يرمي به جزافا من غير تحقيق فأتبع (لا ريب فيه) نفيا لذلك إتباع الخليفة (نفسه) إزالة لما عسى أن يتوهم السامع أنك في قولك: " جاءني الخليفة " متجاوز أو ساه .

الثاني: أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في إتحاد المعنى، كقوله تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، فإن هدى للمتقين معناه أن بالغ درجة لا

1- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 69 - 70 .

2- الجرجاني، التعريفات، 270 .

3- المرجع نفسه، 404 .

4- الجاحظ، البيان والتبيين، 81/1.

يدركونها حتى كأنه هداية محضة، وهذا معنى قول " ذلك الكتاب " كما مر الكتاب الكامل، والمراد بكماله له كماله في الهداية لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في الدرجات¹.

د - المجاز: من بين المواضع الأكثر تداولاً عند علماء المعاني، والحقيقة أمر ثابت قطعاً ويقيناً، وحدها في المفرد عند صاحب أسرار البلاغة: « كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح وإن شئت قلت في موضعه وقوعاً تستند فيه إلى غيره فهي (حقيقة) »².

أمّا المجاز فما تجاوز الحقيقة إلى الخيال أو: كل كلمة أريدها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول وإن شئت قلت كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعاً، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز³ فلو أخذنا كلمة " أسد " مثلاً فإن قال قائل: (رأيت أسداً في الغابة) قصد

بها ظاهرة معناها فهذا مكن الحقيقة، أما إن قال آخر: (هزم الأسد أعداءه في ساحة الوغى) فهو من المجاز لأن المراد رجل يشبه الأسد في شجاعته .

وعلماء البلاغة عدوا مبحث المجاز من التوكيد عند شرحهم لبعض آي الذكر الحكيم، يقول صاحب الخصائص في مثل قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: 82] مبيناً خاصية التوكيد فيها: « وأما التوكيد فلأنه في ظاهر اللفظ إحالة بالسؤال على من ليس من عادته الإجابة، فكأنهم تضمنوا لأبيهم عليهم السلام أنه إن سأل الجمادات والجبال أنبأته بصحة قولهم، وهذا تناه في تصحيح الخبر أي لو سألتها لأنطقها الله بصدقنا، فكيف لو سألت من عادته الجواب »⁴.

1- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 69 - 70 .

2- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مؤسسة الرسالة، ط1، دمشق، سوريا، 2007، 250 .

3- المرجع نفسه، 251 .

4- ابن جني، الخصائص، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د ط، 447/2 .

فوق التوكيد في هذه اللغة دليل على شياع المجاز فيها واشتماله عليها: حتى إن أصل العربية أفرد واله بابا لعنايتهم به، وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ؛ كما أفردوا الكل معنى أهمهم بابا ؛ كالصفة والعطف والإضافة والنداء والندبة والقسم والجزاء ونحو ذلك ¹.

والأمثلة التي ربط فيها بلاغيونا بين المجاز والتوكيد عديدة وهي إشارات استفاد منها الدرس البلاغي الحديث .

هـ - الاعتراض: الأصل في بناء الجملة العربية هو التلازم بين العناصر اللغوية كالفاعل والمبتدأ والخبر والصفة والموصوف، لكن أحيانا قد يؤتى بكلام يفصل بينها يطلق عليه الاعتراض، وهو: «أن يأتي في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر، لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى

رفع الإبهام، ويسمى الحشو أيضا، كالتنزيه في قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: 57] .

فإن قوله (سبحانه) جملة معترضة ؛ لكونها بتقدير الفعل، وقعت في أثناء الكلام، لأن قوله: " ولهم ما يشتهون " عطف على قوله " البنات "، والنكتة فيه: تنزيه الله عما ينسبون إليه ²، وله عدة أغراض بلاغية أهمها التوكيد، ويسوق البلاغيون عدة أمثلة لتوضيح الهدف البلاغي لهذا الموضوع، منه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: 14]، إذ خصص الاعتراض في هذه الآية أحد المذكورين بزيادة

1- المرجع نفسه، 451/2 .

2- الجرجاني، التعريفات، 58 .

التأكيد في أمر علق بهما¹، إذن فالدور الذي يؤديه الاعتراض أنه يزيد الجملة قوة ووضوح معان وتأكيدها.

خامساً: أسلوب التوكيد في الدراسات الحديثة :

إنّكأ الدرس اللغوي الحديث على ما خلفه نظيره القديم، وإن كان أكثر دقة وتنظيماً في تناول موضوع التوكيد، فقد حاول العلماء المحدثون جمع ما تفرّق في كتب البلاغيين والنحاة، وضبط إشاراتهم التي ضمّنها مصنفاتهم لتكوين قواعد لها شواهداها. وسنركّز في هذا العنصر على أشكال التوكيد ومظاهره التي لم نوردتها ضمن الدرس اللغوي القديم.

1- التقديم والتأخير: من المعلوم أنّ بناء الجملة العربية يكون وفق ترتيب معين، ففي حال الجملة الاسمية يكون المسند إليه أولاً ثم يأتي المسند، أما في الجملة الفعلية فيقدّم المسند على المسند إليه ولخرق هذا النظام دواع يقتضيها المقام « فإذا أراد الناطق العربي القح الفصيح أن يخبر مثلاً بنزول المطر في موسم نزوله، ولم يجد أنّ من يخاطبه منكر ولم يجد أن عليه شيئاً من علامات الإنكار، وليس له غرض يقتضي منه أن يغيّر النظام الأوّل للكلام، فإنه يقول عما حدث في الماضي "نزل المطر"، ويقول عما يجري حدوثه مع كلامه "ينزل المطر" لكن إذا وجه كلامه لمن سبق أن أخبر بناء على دلائل الأرصاد الجوية بأن المطر لا ينزل خلال أربع وعشرين ساعة، فجاء الواقع على خلاف ما أخبر أو أراد بشارة أهله أو قومه بنزول المطر الذي يترقبونه لحاجتهم إليه، أو أراد أن يعبر عن اهتمامه بحصول هذا الحدث، أو كان الموسم موسماً يستغرب فيه نزول الأمطار أو كان يريد التعبير عن فرحته، أو الشاء على نوع المطر النازل أو التوطئة للشاء على الله الذي أنزله، أو التوطئة للحث على شكر الله على نعمته أو نحو ذلك من مقتضيات التقوية والتأكيد، أو مقتضيات البدء في الجملة بذكر ما هو أهم في نفسه ونفس المخاطب، كان من المستحسن أن يعبر بأسلوب يشعر بتقوية الخبر، أو بما يلاءم مقتضى الحال، ومن

1- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، 119 .

الأساليب المؤدية للأغراض السابقة تقديم المسند إليه على المسند فيقول بمقتضى سليقته في التدقيق أساليب الكلام العربي: " المطر نزل " " والمطر ينزل " ¹ وهو فرق في القوة والتأكيد قد عرض صاحب النص السابق بعض السياقات التي استدعت هذا التقديم .

ولو عدنا إلى العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني نجده يؤكد على دور التقديم في تأكيد الكلام وتقويته « وجملته الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له، لان ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام، ومن ها هنا قالوا: إن الشيء إذا أضمر ثم فسّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار، ويدل على صحة ما قالوه أنا نعلم ضرورة في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: 46/22]، فخامة وشرفا وروعة لا نجد منها شيئا في قولنا: فإن الأبصار لا تعمي . وكذلك السبيل أبدا في كل كلام كان فيه ضمير قصة، فقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117/33]، يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل إن الكافرين لا يفلحون ؛ لم يفد ذلك » ² .

ويدخل ما قاله الجرجاني آنفا ضمن تقديم المسند إليه .

وتتقدم الكثير من عناصر الجملة على بعضها البعض، وفي ذلك مثلما ذكرنا أغراضا بلاغية استوقفت العلماء قديما وحديثا، فحللوها وأفاضوا في شرح دواعيها، ومن أمثلة التقديم: « قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ بِنَبِيِّهِ وَيَقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة [البقرة: 132] فقدم الجار والمجرور " بها " على الفاعل " إبراهيم " للدلالة على عظم هذه الوصية وأنها أعظم من الموصي، وأنها لا يختلف أمرها سواء كان الموصي إبراهيم أم غيره» ³، ومثله

1- عبد الرحمن حسن جبنة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، 361 - 362 .

2- الجرجاني، دلائل الإعجاز، 161 .

3- فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007، 41 .

عندما نقول: " زيد قائم "، و " زيد قام " فالثانية أقوى وأؤكد من الأولى لأنه قد تم فيها الإسناد إلى زيد مرتين .

2 - التوكيد بالأداة: هي عند النحاة والمنطقيين الحرف المقابل للاسموالفعل¹، وفي الأصل هو مصطلح كوفي يقابل ما يسميه البصريون بحروف المعاني²، وإن كان لدى المحدثين يشمل حروف المعاني وغيرها، والأغلب اصطلاح الأداة على الحرف لأسباب منها:³

- أنّ مصطلح الأداة يستخدم بدلا من مصطلح الحرف للتفريق بين الحرف الذي جاء لمعنى في غيره وهو المقصود، والحرف الذي يتكلم منه الكلم كحرف الثاء في (ثم)، أي حرف المبنى .

- أنّ الأداة تشمل الحروف والأسماء وغيرها، ممّا يصح القول عنه أنه يؤدي معنى في الجملة وهذه وظيفة لا تقتصر على الحروف فقط بل قد تؤدي ببقية أقسام الكلم كأسماء الاستفهام وحروفه، وقد قسمت تلك الأدوات انطلاقا مما تدخل عليه .

أ - ما يختص بالدخول على الفعل: وهي حروف تدخل على الجملة الفعلية، ومنها نوني التوكيد وقد سبق وأن عرضناها في التوكيد في الدراسات القديمة، ومن تلك الحروف :

*** السين وسوف:** وهما حرفان يختصان بالدخول على الفعل المضارع أما السين: « حرف من حروف المعاني، يختص بالدخول على الفعل المضارع المثبت دون المنفي فيعينه للاستقبال وينقله إلى الزمن المستقبل الواسع، ولذا سمي حرف تنفيس (توسيع)، وهو غير عامل لأنه ينزل منزلة الجزء من الفعل، ومدة الاستقبال معه كمدة الاستقبال مع "سوف" نحو ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

1- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، 127 .

2- عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن 3 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، 174 .

3- ينظر: عائشة عبيدة، دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، 124 .

يَنْقَلِبُونَ ﴿ [الشعراء: 227] وقد تكون مدة الاستقبال معه أضيق منها مع (سوف)، وهو حرف يفيد تكرار

الفعل وتوكيده وعدا أو وعيدا مع وجود قرينة لفظية أو معنوية، نحو قوله تعالى في الوعد: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ أي أَنَّ الرَّحْمَةَ حاصلة لا محالة ... ¹

ويؤكد الزمخشري هذا المعنى أي عند دخولها الفعل تفيد أنه واقع لا محالة: « ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة، وإن تأخر إلى حين » ²، ويقصد بالقرينة اللفظية أو المعنوية السياق العام الذي ترد فيه الجملة، والذي يحدد معناها إن كان وعدا أو وعيدا أو غيرها من الأغراض، وكما تختص السين بالدخول على الفعل المضارع فإنَّ "سوف" مثلها « أو أوسع منها، وكأنَّ القائل بذلك نظر إلى أن أكثرية الحروف تدل على كثرة المعنى وليس بمطرّد ويقال فيها سف بحذف الأخير، وسي بحذفه وقلب الوسط ياء مبالغة في التخفيض » ³ وتخالف السين في أمور :

1 - جواز دخول اللام عليها، نحو: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى 5] .

2 - جواز الفصل بينها والمضارع الداخلة عليه على الفعل نفسه، إذ لا يصح أن تقول سوف أعمل .

3 - أنها أكثر تنفسيا من السين، أي أنها أشد تراخيا في الاستقبال، ولذا يقال سوفته، إذ أطلت الميعاد خلافا للكوفيين الذين يساوون بينها . ⁴

1- علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، الأردن، ط3، 1993، 178 .

2- الزمخشري ، الكشف، 96/1 .

3- المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 61، 62 .

4- علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، 183، 184 .

* **التوكيد بقـد**: تكون إما اسمية أو حرفية، والأولى بمعنى " حسب " وهي اسم فاعل أما الثانية وهي التي تعيننا، فمختصة بالدخول على الفعل المتصرف الخبري المثبت المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس، وهي معه كالجزم، فلا تفصل منه بشيء، اللهم بالقسم، ولها خمسة معان¹: أحدها التوقع وذلك مع المضارع، الثاني تقرب الماضي من الحال، تقول: " قام زيد " فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد، فإن قلت " قد قام " اختص القريب. الثالث التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو: " قد يصدق الكذب " و " قد يجود البخيل " وتقليل متعلقة نحو: قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: 64]. الرابع: التكثر مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ﴾ [البقرة: 144]، والخامس: التحقيق نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: 9].

ويؤكد المطردي أنه يجوز في كل " قد " حرفية داخلية على فعل ماض أو مضارع أن يقال فيها قد حرف تأكيد لأنها تؤكد الجملة الواقعة بعدها لا فرق بين أن تكون ماضوية أو مضارعية، ويقسم تواجدها في القرآن الكريم كالآتي :

✓ قد المقترنة بالفاء الواقعة جواباً بالشرط ظاهر وآيته: ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ [غافر: 9].

✓ قد الحرفية المقترنة بالواو الحالية، ومثلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَا لَدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْ أَتَعِدَانِيَّ أَنْ أَخْرُجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ [الأحقاف: 17].

✓ اقتران قد باللام وحدها واللام والواو معا مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ لِحَقِّ كَارِهِونَ﴾ [الزحرف: 78]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانِمْينَ﴾ [غافر: 23].

1- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 171، 174.

✓ والقسم الأخير وردت " قد " مجردة من المعاني والسيئات الآنفه الذكر، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الزخرف 63] .

* التوكيد بلام الجحود: وتسمى أيضا لام النفي، وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبقة بـ " ما كان " أو بـ " لم يكن " ناقصتين مسندتين لما أسند إليه الفعل المقرون باللام، نحو: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179]، ووجه التوكيد فيها عند الكوفيين أن أصل " ما كان " ليفعل " ما كان يفعل، ثم أدخلت اللام زيادة لتقوية النفي ¹ .

ومن أمثلتها أيضا: قوله تعالى: ﴿كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفُرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: 122]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت: 40]، ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ [النساء: 168]، والتقدير في الآيات الثلاث ما كان المؤمنون يريدون للتفارق كافة، وما كان الله يريد الظلمهم، وما كان الله يريدًا للغفران لهم، فلفظ الجلالة اسم للفعل الناقص، أما خبره حرف تقديره " مديرين " و " مریدا " تعلق به الجار والمجرور ... ² والفعل المضارع بعدها ينصب بـ " أن " المضمرة وجوبا بعد لام الجحود.

* توكيد الفعل باللام الداخلة على جواب " لو " و " لولا " :

تستعمل " لو " و " لولا " في بعض السياقات للدلالة على الشرط، وعندما تدخل اللام على جوابها تصبح دالة على التوكيد، وهي تربط جملة الشرط وجملة جواب الشرط وتدخل على " جواب لو نحو: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251] ³.

1- ينظر: المرجع السابق، 208، 209 .

2- حبيب مغنية، الوافي في النحو والصرف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 2004، 211، 212 .

3- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 230 .

ومن أمثلتها في الحواميم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الشورى: 8]، وقد ورد فعل الشرط ماضياً، أما المضارع فقد ورد في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزحرف: 60] .

ب - ما يختص بالدخول على غير الفعل: وأشهر تلك الأدوات :

* **إِنَّ** وأنّ: كلاهما حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية فتنصب الأول ويسمى اسمها، وترفع الثاني ويسمى خبرها، « وما عملت فيه أن صلة لها، كما أن الفعل صلة لأن الخفيفة، وتكون اسماً ألا ترى أنك تقول: قد عرفت أنك منطلق فأنت في موضوع اسم منصوب، كأنك قلت: قد عرفت ذاك .وتقول: بلغني أنك منطلق، فأنت في موضوع اسم مرفوع، كأنك قلت: بلغني ذاك ... ومعناها مكسورة ومفتوحة سواء »¹.

وجدير بالذكر أنّ "إِنَّ" هي من أكثر الحروف المؤكدة تواجداً في الحواميم ، وجاءت بعد النداء في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [غافر: 32]، وبعد ألا الاستفتاحية: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِئَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [فصلت: 54] ومواقع أخرى كثيرة سيأتي ذكرها في حينها.

* **لكنّ**: بنون مشددة هي حرف مشبه بالفعل من أخوات "إِنَّ" تدخل على مبتدأ وخبر فتنصب الأول وترفع الثاني: « قيل إنّها مركبة من لا و(إنّ) ة الكاف زائدة، وقيل إنّ أصلها (لكن إن)، حذفت الهمزة للتخفيف ونون لكن لالتقاء الساكنين تفيد الاستدراك وهو رفع ما يتوهم ثبوته نحو: الكتاب ممزق ولكنه مفيد أو أن تنسب لما بعدها حكماً يخالف الحكم الثابت لما قبلها، نحو: الماء عكر لكنه

1- سيبويه، الكتاب، 124/3 .

طاهر، وقيل إنها تفيد مع الاستدراك توكيدا¹. إذن فمعنى "لكن" الاستدراك والتوكيد معا، ومثالها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: 78].

* كَأَنَّ: تدخل هي أيضا على الجمل الاسمية، ومعناها: «التشبيه المؤكد لأنها في الأصل مركبة من أَنَّ التوكيدية، وكاف التشبيه، فإذا قلت "كَأَنَّ العلم نور" فالأصل "إِنَّ العلم كالنور"، ثم إِيَّاهم لما أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا عليه الجملة، قدّموا الكاف وفتحوا همزة "إِنَّ" مكان الكاف التي هي حرف جرّ، وقد صارت وإيّاها حرفا واحدا يراد به التشبيه المؤكد².

و مثال هذه الأداة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

* أَمَّا: مفتوحة الهمزة مشددة الميم من مؤكّدات الجملة الاسمية إذ تقول أَمَّا زيد فمنطلق إذا أردت أن تقول أنه منطلق لا محالة . وأغلب ورودها في القرآن الكريم على هذا النحو ،أي أَنَّ ما بعدها مبتدأ يطلب خبرا، والجملة من المبتدأ والخبر مؤكّدة بـ"ما" والتأكيد لها ثابت في مثل هذا التركيب، وهي كلمة فيها معنى الشرط.³ ومثالها في الحواميم قوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: 17]. *ألا: بفتح الهمز والتخفيف من الحروف المؤكّدة للجملة الاسمية، وهي: «للتنبية فتدلّ على تحقيق ما بعدها ... وإفادتها التحقيق من جهة تركيبها من "الهمزة" و"لا" وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق نحو: ﴿أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [القيامة: 40]»⁴. وقوله تعالى أيضا: ﴿صرّاط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ من سورة [الشورى: 53].

1-علي توفيق الحمد ويوسف الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، 283.

2- مصطفى الغلايني، جامع الدروس العربية، 397/2.

3-ينظر: عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 247.

4- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 74.

3- التوكيد بالنعت: يعرف النعت بكونه « ما يذكر بعد اسم لبيان بعض أحواله أو أحوال ما يتعلق به ... وفائدة التفرقة بين المشتركين في الاسم، ثم إن كان الموصوف معرفة ففائدة النعت التوضيح. وإن كان نكرة ففائدته التخصيص.¹ » إذن فأهم فوائد التوكيد والتخصيص وهو ما له صلة وطيدة بموضوعنا، ومثاله في الحواميم قوله تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: 27].

4- الحال: والذي يدخل منه في باب التوكيد الحال المؤكدة لعاملها: «و هي التي لا تضيف معنى جديداً، بل يفهم معناها من صريح لفظ عاملها، وعنهما قال ابن مالك :

و عامل الحال بما قد أكّدا في نحو: لا تعث في الأرض مفسدا

أي أنّ الحال قد تؤكّد معنى عاملها سواء كان لفظها مختلفاً أم متفقاً ... وهو الغالب في الاستعمال كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة: 60]، مفسدين: حال مؤكدة لعاملها، لا تعثوا أي لا تفسدوا فالمعنى متفق واللفظ مختلف.² .

إذن يبدو أسلوب التوكيد مبحثاً بلاغياً نحوياً متشعب المسالك درسه اللغويون العرب قديماً وحديثاً وحاولوا ربطه بالسياق وهذا ما ألفيناه عند علماء المعاني، فالمخاطب خالي الذهن يلقي إليه الكلام خالياً من المؤكّدات أمّا المتردّد في قبول الخبر فيلقى إليه الكلام مؤكّداً بمؤكّد واحد في حين إن كان منكراً للخبر يستعين المتكلّم بمؤكّدين أو أكثر.

و الفضول العلمي يدفعنا دفعا إلى اكتشاف قيمته الحجاجيّة وهذا ما سنحاول الوقوف عنده في الفصل القادم.

1- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، 587/2.

2 - صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، منشورات جامعة طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 1998، 229، 230/3.

الفصل الثالث :

مجاجية أسلوب التوكيد في الخطاب القرآني

أسلوب التوكيد في القرآن لوحة فنية متكاملة، له مقاصده ودواعيه، إذ يلجأ للتأكيد في موضع ويستغنى عنه في آخر، وفي مقامات أخرى يتم استعمال وسيلتي توكيد أو أكثر، ويكتفى بواحدة في أخرى، إن هذا التنوع في توظيفه حاولنا تأويله وإبراز القيمة الإقناعية التي يتضمنها هذا الأسلوب .

ولكي يتاح لبحثنا الشمولية، اخترنا من كل شكل توكيدي نموذجين، وأعقبناها بإحصاء النماذج الأخرى التي لم يتم ولها، وحرصنا أن تكون الآيات تتوزع على كل سور الحواميم التي كانت المدونة المجتابة للدراسة .

أولاً: التعريف بالحواميم .

الحواميم سبع سور مكية هي: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، والأحقاف، تبدأ بـ " حم "، واختلف المفسرون في المقصود من هذه الأحرف المقطعة التي بدأت بها السور « فمنهم من قال علمها عند الله وهي مما استأثر الله بعلمه، وهو قول الخلفاء الأربعة وابن مسعود رضي الله عنهم، ورأي جماعة السلف رضوان الله عليهم أجمعين، ولعلمهم أرادوا أنها سر بين الله ورسوله لم يقصد منها إفهام غيره - صلى الله عليه وسلم - لأنه يبعد الخطاب بما لا يفيد مطلقاً وهو عبث والبعث مستحيل على الله تعالى ... وعن الصديق - رضي الله عنه - : في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور »¹ .

وقد عنيت سورة غافر بأمور العقيدة ومحور السورة كلها حول المعركة بين الحق والباطل والهدى والضلال فجاء جو السورة مشحوناً بطابع الشدة وكأنه جو معركة رهيبية تفسر عن مصارع الطغاة فإذا بهم حطام وركام وآياتها خمس وثمانون .

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 62/24 .

في حين سورة فصلت فأياتها أربع وخمسون وتناولت جوانب العقيدة الإسلامية من وحدانية ورسالة وبعث وجزاء .

أما الشورى فأياتها ثلاث وخمسون نزلت بعد سورة فصلت وتناولت الموضوعات نفسها التي تضمنتها السور المكية (العقيدة، الوحدانية، البعث والجزاء) .

وعدد آيات سورة الزخرف تسع وثمانون نزلت بعد سورة الشورى تناولت أسس العقيدة الإسلامية.

أما الدخان فأياتها تسع وخمسون نزلت بعد سورة الزخرف، من أهدافها ترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان .

أما الجاثية فأياتها سبع وثلاثون نزلت بعد سورة الدخان، شأنها شأن سائر السور المكية تتناول العقيدة والبعث والرسالة والإيمان بالآخرة ويكاد يكون محورها هو إقامة الأدلة والبراهين على وجود الله عز وجل

أما سورة الأحقاف فسورة عظيمة آياتها خمس وثلاثون، نزلت بعه سورة الجاثية تناولت نفس أهداف وموضوعات السور المكية، ومحور السور يدور حول الرسالة والرسول لإثبات صحة رسالته - صلى الله عليه وسلم - وصدق القرآن الكريم.¹

إذن يبدو جليا أن القاسم المشترك الأول للحواميم هو الدفاع عن أمور العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان في نفوس الناس باستعمال الحجج والأدلة المناسبة ولا يخفى أن القرآن الكريم يخاطب الوجدان والعقل معا للتأثير فيهما، « ففيه حظ النفس وعواطفها ومشاعرها وفيه مطلب العقل وحججه وبراهينه،

1- ينظر: محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية، ط1، 2002، 281 - 304 .

تراهما متجاورين متآلفين دون أن يطغى أحدهما على الآخر، وإن برز أحدهما في موضع فإن تلك سياسة بيانية»¹.

وسنحاول في هذا الفصل التطبيقي تتبع القيمة الحجاجية لأشكال التوكيد وفق الأنماط التي رصدناها في الفصل السابق.

ثانيا: القيمة الحجاجية لأشكال التوكيد.

مثلا قلنا آنفا سنتبع حجاجية كل شكل على حدة، وفق نماذج لكل نمط، مركزين على وظيفة العنصر المؤكد في الجملة، وما أداه من وظيفة فيها، لنربط حجاجيته بالمعنى والسياق الذي ورد فيه، وعقب دراسة تلك النماذج ذيلنا كل نمط بدراسة إحصائية تتقصى كل الآيات التي وردت فيها الصيغ التوكيدية المتبقية.

1 - توكيد الجملة الفعلية: تؤكد الجملة الفعلية بحروف كثيرة والذي يهمنا تلك التي وظفت في الحواميم، وهي:

أ - توكيد الفعل المضارع بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة:

أ-1 - يقول تعالى: " وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً " (فصلت 50).

أكد الفعل المضارع " يقول " بنون التوكيد الثقيلة، وجاء في جواب " إن "، فالإنسان إذا أصابه خير ورزق، بعد ما كان في شدة يقول إني أستحقه عند ربي ويكفر بقيام الساعة أي لأجل أنه خول نعمة يطر ويفخر ويكفر...² وهذا من تمام الجحود والنكران وقد تم تأكيد الفعل بالنون للدلالة على

1- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبه، القاهرة، ط1، 1992، 420/1.

2- ابن كثير، تفسير ابن كثير، دار الاندلس، بيروت، ط1، 1966، 183/6.

غلو الإنسان في كفره، لأنه أنكر نعمة الله عليه، وفي الآية نفسها رد من الله تعالى أشد قوة: " فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ " . وفيه تأكيد من المولى -عز وجل- بسوء عاقبة الكافرين، وارتباط " نون التوكيد " بفعل القول يعني أن السياق الذي قيل فيه الكلام سياق تواصلية بحث .

أ - 2 - يقول تعالى: " فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِعُضِّ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ " (غافر 77) .

الخطاب موجه للرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك بعد استبطائه وأصحابه النصر ولهذا كان التأكيد بـ (إِنَّ) في قوله: " إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ " ثم أعقب ذلك جملة شرط، أداها " إِنَّ " مدغمة مع " ما " الزائدة الدالة على التوكيد، ولذلك لحقت نون التوكيد الثقيلة فعل الشرط (نُرَبِّيكَ)، وعطف عليها الفعل (نتوقئَنَّكَ) والجواب اقترن بالفاء (فإلينا يرجعون)، أي « أنهم واقعون في قبضة قدرنا في الدنيا سواء كان ذلك في حياتك مثل عذاب يوم بدر أو بعد وفاتك مثل قتلهم يوم اليمامة، وأما عذاب الآخرة فذلك مقرر لهم بطريق الأولى »¹.

إذن فقد استعمل التوكيد في مقام تسليية الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه مما لا قوه من المشركين من إساءة وإعراض .

أ - 3 - يقول تعالى: " وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا " (الزخرف 61) .

قبل الولوج في الربط بين المؤكدات ومعنى الآية، تستقبلنا وسائل توكيدية عديدة موظفة هي: إنَّ، اللام واتصال الفعل المضارع المنفي بنون التوكيد الثقيلة، وهي وسائل حجاجية سيقّت لبيان أن الساعة آتية لا محالة، واختلف المفسّرون في الضمير الغائب المتصل بـ " إِنَّ " فقال بعضهم: « الهاء عائد

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1984، 2008/4 .

على عيسى عليه السلام، وهو علامة قرب الساعة، قال ابن عباس وقتادة: إن خروج عيسى عليه السلام من أعلام الساعة، لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة»¹.

أما ابن عاشور فيرجح أنّ الهاء عائدة على القرآن « وضمير المذكر الغائب في قوله " وإنه لعلم الساعة " مراد به القرآن وبذلك فسّره الحسن وقتادة وسعيد بن جبير فيكون ثناء ثامنا على القرآن، فالثناء على القرآن استمرّ متصلاً من أول السّورة آخذاً بعضه بحجز بعض ... ومعنى تحقيق أن القرآن علم للسّاعة أنه جاء بالدين الخاتم للشرائع فلم يبق بعد مجيء القرآن إلا انتهاء العالم ... وإسناد علم للسّاعة إلى ضمير القرآن إسناد مجازي لأن القرآن سبب العلم بوقوع السّاعة إذ فيه الدلالة على إمكان البعث ووقوعه»².

إذن فللتوكيد مقامه ودواعيه لأن الكلام موجه لمن ينكر قيام الساعة والبعث والنشور .

ومما نراه جديراً بالملاحظة أيضاً أنه بعد التوكيد جاء الفعل " لا تتمنّ " الذي يدلّ على وجوب انتفاء كل دواعي الشك والريبة في نفوس المكذّبين بعد الدلائل التي سيقّت للقضاء عليها عندهم .

أما سائر الآيات التي ورد فيها هذا الشكل التوكيدي ما يأتي :

- يقول تعالى: " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ " (الزخرف 9)
- يقول تعالى: " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (الزخرف 87) .
- يقول تعالى: " فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ " (فصلت 27) .
- يقول تعالى: " وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ " (فصلت 35) .

1- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجليل، بيروت، دط، دت، 152 .

2- ابن عاشور، تفسير التحرير التنوير، 24 .

- يقول تعالى: " فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ " (فصلت 50).

ب - تأكيد الفعل المضارع بالسين وسوف :

ب - 1 - يقول تعالى: " وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ " (الأحقاف 11).

تدخل السين وسوف على الفعل المضارع فتخلصانه للدلالة على الاستقبال المؤكد وورد في سبب نزول هذه الآية أنه كان قد « قال ناس من المشركين نحن أعزّ ونحن ... ونحن فلو كان خيرا ما سبقنا إليه فلان وفلان ... وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبي شداد قال: كانت لعمر بن الخطاب أمة أسلمت قبله يقال لها زنيرة، فكان عمر يضربها على إسلامها حتى يفتّر، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيرا ما سبقتنا إليه زنيرة، فأنزل الله في شأنها: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه »¹.

فجاء الرّدّ من الخالق - عزّ وجلّ - مخاطبا المنطق أنّ الذي لم يهتد قلبه للإسلام وعميت بصيرته عن إدراك صدقه فإنه سيكذب به ويقول لا محالة ودون تردّد، هذا إِنْكَ قَدِيمٌ. فقد سيقّت السين للتأكيد على موقف المشركين الرافض للإيمان بصدق الرسالة، وارتباطها بفعل القول جعل منها أداة استخدمت في معرض التواصل .

ب - 2 - يقول تعالى: " فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ " (الزخرف 89) .

وردت " سوف " لتأكيد الوعيد من الله عزّ وجلّ للذين كفروا وتسليّة للرسول - صلى الله عليه وسلم - لذا بدئت الآية بقوله: (فاصفح عنهم)، والمقصود بالصفح ها هنا الإعراض عنهم وترك حدا لهم²، ومما يجدر التوقف عنده كلمة (سلام) التي وردت مرفوعة في حين حقها النصب على المفعولية،

1- السيوطي، الباب القول في أسباب النزول، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 258 .

2- ينظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 274/24 .

وتأويل هذا عند ابن عاشور « وأصل سلام مصدر جاء بدلا من فعله فأصله نصب، وعدا إلى رفعه لقصد الدلالة على الثبات كما تقدم في قوله " الحمد لله رب العالمين " ¹ وختم كلامه - عز وجل - بتهديد المشركين " سوف " زادت الجملة قوة في الدلالة على حقيقة نيلهم عاقبة إجرامهم وتكذيبهم .

والآيتين المتبقيتين اللتين وردت فيهما السين وسوف هما :

- يقول تعالى: " سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ " (الزخرف 19) .
- ويقول أيضا: " إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ " (الزخرف 27) .

ج - تأكيد الفعل المضارع بـ " قد " و " لقد " :

ج - 1 - يقول تعالى: " وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ " (غافر 9) .

وردت " قد " في الآية الكريمة مقترنة بالفاء واقعة في صدر جملة جواب الشرط الظاهر وقد أكّدت التقرير أي الإخبار عن رحمة الله لمن عصم عن فعل فعل سيئة في الدنيا، والقول على لسان الملائكة، يقول الفخر الرازي يعني ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته في يوم القيامة... ² والمقصود بالرحمة الغفران والعصمة والتعظيم ³.

وتبدو قيمة " قد " الحجاجية في رتبة أقل من التوكيد بنوني التوكيد أو السين وسوف .

ج - 2 - يقول تعالى: " أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ " (الدخان 13) .

وردت " قد " في هذه الآية مقترنة بواو الجالية، وسبب نزول هذه الآية وما سبقها ابتداء من الآية العاشرة أن: « قريشا لما استعصوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا عليهم بسنين كسنين

1- المرجع نفسه، 273/24 .

2- الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 37/27 .

3- ابن عباس، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، دت، 393 .

يوسف، فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان ... فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت فاستسقى فسقوا، فنزلت إنكم عائدون، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ...»¹

هل بعد هذا جحود ونكران وكفر أعظم؟ فبعد كل تلك الدلائل أبت بصائرهم أن ترى النور وقلوبهم أن تلين ويسوق لهم الله حجة أعظم وهي الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال: " وأنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين " وأدت " قد " وظيفة التأكيد على صدق هذه الحجة وقوتها .

ج - 3 - يقول تعالى: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ " (الجاثية 16) .

نعم الله تعالى على عبده كثيرة وهي حجج عليه يوم القيامة لأنه سيسأل ما كان موقفه منها وبنو إسرائيل أكثر الأمم السابقة مكانة « فقد آتاهم الله الكتاب أي التوراة والحكم به بين الناس والنبوّة لموسى وهارون منهم، ورزقهم من الطيبات كالمن والسلوى، وفضلهم على بقية العقلاء»²، لذا تصدرت " قد " الآية القرآنية التي أدت معنى زيادة التأكيد على النعم التي آتاها المولى بني إسرائيل وما زادهم هذا إلا جحودا .

ج - 4 - يقول تعالى: وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ (الزخرف63).

وردت " قد " متصدرة جملة مقول القول الصادر عن سيدنا عيسى - عليه السلام - ليؤكد على قيمة المهمة التي أوكلها له المولى - عز وجل - وهي هداية قومه وإخراجهم من الضلال ومن ظلام

1- السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، 254 .

2- السيوطي والواحدي، تفسير الجلالين، ت: صبري محمد موسى ومحمد فايز كامل، ط1، 2001، دار الخير، دمشق، سوريا، 500 .

والكفر الى نور الإيمان، وأول ابن كثير قوله: قد جئكم بالحكمة أي النبوة¹، والفعل فيه خطاب للمتلقي وجاء الخبر طلبيا تم فيه تأكيد إسناد فعل المجيء بالحكمة إليه لان قومه في البداية كان فيهم المتردد في تصديق ما ذهب إليه .

والآيات المتبقية التي وردت مؤكدة بهذا الحرف هي :

- سورة غافر: الآيات: 23، 34، 48، 53، 78، 85 .
- سورة فصلت: الآيات: 25، 45 .
- سورة الزخرف: 46، 78 .
- سورة الأحقاف: 17، 18، 21، 26، 27 .
- سورة الدخان: 17، 30، 32 .

د - تأكيد الجملة الفعلية باللام الداخلة على جواب " لو " و " لولا " :

د - 1 - يقول تعالى: قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَكًا (فصلت 14) .

دخلت اللام في جواب " لو " لتؤكد ارتباط جملي الشرط وجوابه ببعضهما، فمن تمام إنكار المشركين وتكذيبهم اشتراطوا على من أرسل لهدايتهم أن تنزل الملائكة إليهم ليؤمنوا، فصمت آذانهم وتلقوه بالإعراض والنكران، وغلوهم في كفرهم دليلا استعمالهم اللام الزائدة الدالة على التوكيد، وهذا كله دليل على تقلب أحوال أهل الشرك الذين عاندوا واستكبروا رغم الآيات التي بثت لهم .

د - 2 - يقول تعالى: " وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ " .

(الشورى14)

1- ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، 236 .

ارتبطت اللام بجواب " لولا " فدخلت على الفعل الماضي المبني للمجهول للتأكيد على قدرة الله في تعجيل العقوبة في الدنيا لمن كفر، ولكنه أنظر العباد إلى يوم القيامة لان وعد الله حق، وأفادت " لولا " الامتناع لوجود فجلة الشرط متحققة وهي (كلمة سبقت من ربك)، وجلة جواب الشرط (لقضي بينهم) امتنعت عن الوقوع أي « لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعا »¹.

وفيما يأتي إحصاء للآيات التي وردت متضمنة هذا الشكل التوكيدي :

- يقول تعالى: " وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ " (الزخرف 60).
- يقول أيضا: " وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ " (فصلت 44).
- ويقول تعالى أيضا: " وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً " (الشورى 8) .
- ويقول -عز وجل- أيضا: " وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ " (الشورى 27) .
- يقول - عز وجل-: " وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ " (فصلت 45) .
- يقول تعالى: " وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ " (الشورى 21) .
- يقول تعالى: " وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ " (الزخرف 33) .

1-ابن كثير، تفسير ابن كثير، 6/192 .

2 - توكيد الجملة الاسمية: يتم تأكيدها بأدوات كثيرة هي :

أ - تأكيد الجملة الاسمية بأنّ وأنّ المشددتين :

لا نبالغ إن قلنا أن " إنّ " و " أنّ " من أكثر أدوات التوكيد حظا في الاستعمال القرآن ولن نستثني سور الحواميم من هذا التوظيف وسنختار ثلاثة نماذج لاكتشاف قيمتها الحجاجية .

أ - 1 - يقول تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (الأحقاف 33) .

تقدم الآية حججا لا نظير لها، ونقف أمامها مبهورين بسحر القرآن الذي يخاطب العقل والمنطق لإثبات وحدانية الله وقدرته، فالذي خلق الأرض ورفع السماء بلا عمد أليس من باب أولى أن يكون قادرا على إحياء العظام وهي رميم ؟ ! .

فكما خلقهم يعيدهم سبحانه وجاءت " إنّ " للتأكيد على قدرته التي سبق وأن أعطى الحجة على من أنكرها في ابتداء الآية .

أ - 2 - يقول تعالى: " قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ تُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ " (فصلت 9) .

جاءت " إنّ " بعد فعل القول الأمر واتصل بها ضمير المخاطب وجاء بعدها فعل مؤكد باللام مما جعل الخبر إنكاريا لأن القوم المخاطبين أشدّ الناس كفرا ونكرانا وفي هذا قال ابن عاشور: " هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء ¹ ...

والدليل الذي قدّمه ابتداء هو خلق الأرض في يومين وذهب في الآيات اللاحقة إلى استعراض دلائل قدرته في السموات والأرض، ثم قال: « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ

1- المرجع السابق، 6/163.

عَادِ وَثُمُودَ» (فصلت: 13)، وهذا جزاء المكذبين والمنكرين وهذا من الجدل القرآني الذي يقصد منه إقحام الخصم بالحجة والدليل والبرهان ويقدم براهينه وأدلتها التي اشتمل عليها وساقها لهداية الخلق وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس من جميع أصول الشريعة وفروعها¹.

لذا جاء الإنكار من الخالق ابتداء ثم سبقت الحجج الدافعة على الربوبية والوحدانية .

أ - 3 - يقول تعالى: " إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ " (الجاثية 3) .

سبحان الناظم لقد وظفت " إِنَّ " في الآيات الثلاث المختارة في سياق حجاجي واحد وهو التأكيد على عظمة وقدرة وآيات الخالق فالله خالق السموات والأرض وهي معجزة لا يقف إلا المؤمن أمامها مصدقا ومطمئنا أو ليس الهدف من الحج المسافة تغير اعتقادات الكافرين وتثبيت أسس العقيدة في نفوس المسلمين ؟! « وقد أكد بأن وإن كان المخاطبون غير منكريه لتنزيلهم منزلة المنكر لذلك بسبب عدم انتفاعهم بما في هذه الكائنات من دلالة على وحدانية الله تعالى »².

ويرى ابن عاشور أن الخطاب موجّه للمشركين ولذلك قال " لآيات للمؤمنين " دون أن يقال لآيات لكم أي هي آيات لمن يعلمون دلالتها من المؤمنين³.

وذكر السموات والأرض تحديدا بأن نفعهما ظاهر على الإنسان ولأن الحسي المادي أقرب إلى العقل من المجرد المعنوي - والله أعلم - .

ويمكن حصر الآيات التي ورد فيها هذا الشكل التوكيدي كالآتي :

* كسرت همزة إِنَّ بعد " ألا " الاستفتاحية في:

1- موسى إبراهيم الإبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، دار عمان، الأردن، ط3، 1996، 203 .

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 326/24 .

3- ينظر المرجع نفسه، 326/24 .

- يقول تعالى: " **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ** " (فصلت 54) .
- يقول تعالى: " **أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ** " (فصلت 54) .
- يقول تعالى: " **أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** " (الشورى 5) .
- يقول تعالى: " **أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** " (الشورى 18) .
- يقول تعالى: " **أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ** " (الشورى 45) .

* وكسرت همزة " إِنَّ " بعد القول وكان الفعل ماضيا في:

- غافر: 27، 30، 48 .

- فصلت: 33 .

- الشورى: 45 .

- الزخرف: 22، 23، 24، 26، 46، 77.

- الجاثية: 32.

- الأحقاف: 30 .

* وكسرت همزة إِنَّ للعطف على مقول القول الماضي في:

- يقول تعالى: " **قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهُتَدُونَ** " (الزخرف 22) .

* وكسرت بعد فعل القول الأمر في: قوله تعالى: " **قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن**

دُونِ اللَّهِ " (غافر 66) .

* وجاء خبر " إِنَّ " اسما مفردا في :

- غافر: 22، 44، 55، 59، 61، 77 .

- فصلت: 5، 14، 39، 41، 43 .

- الشورى: 12، 23، 24، 27، 48، 50، 51 .

- الزخرف: 4، 14، 15، 22، 23، 24، 28، 30، 41، 42، 44، 46، 49، 61،

62، 77، 79، 88 .

- الدخان: 12، 15، 16، 18، 19، 23، 24، 40، 43، 50، 59 .

- الجاثية: 32 / - الاحقاف: 17، 33 .

* جاء خبر " إِنَّ " جملة فعلية في :

- غافر: 10، 26، 27، 28، 30، 32، 48، 51، 60، 66 .

- فصلت: 9، 25، 30، 40، 41 .

- الشورى: 40، 52

- الزخرف: 3، 22، 23، 27، 37 .

- الدخان: 5، 34، 20، 31، 34، 37

- الجاثية: 17، 19، 29 .

* خبر " إِنَّ " جملة اسمية في:

- فصلت: 33، 45، 50، 54 / - الشورى: 14، 18، 33، 43، 45

- الزخرف: 43، 74 / - الدخان: 51 / - الجاثية: 3، 13 .

* اقترن خبر " إنّ " بضمير الفصل في:

- غافر: 8، 20، 39، 56 / - فصلت: 36

- الشورى: 5 / - الزخرف: 64 / - الدخان: 6، 42، 49 .

* تقدم معمول خبر " إنّ " المكسورة الهمزة في:

- فصلت: 14، 39، 40، 54 / - الشورى: 12، 27 / - الزخرف: 4، 14، 22،

23، 24، 30، 41، 42، 62 .

* ورد خبر " إنّ " جملة شرطية في :

- الشورى: 48 .

* اقترن خبر " إنّ " التي اسمها موصول بالفاء في: - الأحقاف: 13 .

* وتجرّد منها في: - غافر: 10، 56، 60 / - فصلت: 8، 30، 40 .

* ودخلت لام الابتداء على خبر إنّ مفردا في :

- غافر: 59، 61 / - فصلت: 41، 43 / - الزخرف: 4، 14، 15، 44، 49، 61.

* وتدخل لام الابتداء على خبر " إنّ " وهو جار ومجرور في :

- فصلت: 45 / - الشورى: 14، 18 .

* ودخلت لام الابتداء على خبر " إِنَّ " وهو جملة فعلية فعلها مضارع:

- غافر: 51 / - فصلت: 9 / - الشورى: 52 / - الزخرف: 37 / - الدخان: 34 .

* ودخلت لام الابتداء على اسم " إِنَّ " المتأخرة على الخبر .

- فصلت: 50 / - الشورى: 33 / - الجاثية: 3، 13 .

* وجاء خبر " أَنَّ " اسما مفردا في :

- غافر: 6 / - فصلت: 53 / - الشورى: 18 / - الزخرف: 37، 39 /

- الدخان: 22 / - الأحقاف: 33 .

* جاء خبر " أَنَّ " جملة فعلية في:

- غافر: 22 / - فصلت: 22، 39 / - الجاثية: 35 .

* وجاء خبر " أَنَّ " مقترنا بضمير الفصل في :

- غافر: 43 / - فصلت: 15 .

* ورد تقدم معمول خبر " أَنَّ " في: - الزخرف: 39 .

ب - تأكيد الجملة الاسمية بـ "إن" المخففة:

ومثالها واحد في الحواميم وهو قوله تعالى: « وَزُحْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » (الزخرف: 35) .

وقرئت " إِنَّ " مخففة عند الجمهور ومعناها يبقى الدلالة على التوكيد رغم أن عملها يبطل، فلا

تنصب المبتدأ أو ترفع الخبر لأن شبهها بالفعل قد انتفى، وجاءت في الآية للتأكيد على أن مظاهر

الترف والبذخ ليست إلا متاعاً للحياة الدنيا حكمه الزوال والفناء أما مظاهر الغنى فسبق ذكرها قبل هذه الآية أي « السقف والمعارض والأبواب والسرر من الفضة والذهب لا يعود على من أعطيه بالسعادة الأبدية، وأما السعادة الأبدية فقد ادخرها الله للمتقين »¹.

ج - تأكيد الجملة الاسمية بلام الابتداء :

لام الابتداء حقها الصدارة، ولا عمل لها « فهي لام مفتوحة مهملة، أي لا تعمل فيما بعدها فلا ترفع ولا تنصب ولا تجر ولا تجزم، ولها غالباً الصدارة في جملتها »².

ووظيفتها التوكيد، إذن هي وسيلة حجاجية تستعمل للإقناع، واستعملت في موضعين من الحواميم.

الأول: قوله تعالى: " لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ " (غافر 57)، فقد تصدرت لام الابتداء جملة اسمية فيها مفاضلة بين معجزتين الأولى خلق السموات والأرض والثانية خلق الناس، والعقل والمنطق يميل إلى تصديق أن المعجزة الأولى أكبر وأوضح من الثانية، إذن فقد جاءت لام الابتداء في سياق حجاجي بحث فيه حجج دامغة على قدرة الخالق ووحدانيته وهو دليل يضم إلى براهين يتم انتزاعها من « الأحوال المحسوسة دونها الغاز أو غموض، كما ألف الناس في أقيستهم ومحاورتهم، وسهولتها بحيث لا يمكن إنكارها لوضوحها وسرعة فهمها »³.

الثاني: قوله تعالى: " وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ " (فصلت 16) .

1- المرجع السابق، 207/24 .

2- عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 217 .

3- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية .

د - تأكيد الجملة الاسمية بالقسم :

وهو من أكثر المؤكدات قوة ونماذجه كثيرة في القرآن الكريم، لكنّه أقلّ حضوراً في الحواميم، وسندرس واحداً ونخصي الآيات المتبقية التي تضمنت هذا الشكل التوكيدي .

- يقول تعالى: " وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ " (الدخان 2) .

ابتدئت سورة الدخان بالقسم بالقرآن الكريم للتأكيد على منزلته وشرفه، فهو آخر كتاب أنزل وجاء للناس كافة هادياً وموجّهاً إلى صراط مستقيم .

فكان القسم به ابتداءً ليكون حجّة على الذين ظلموا أنفسهم فكفروا به، إذن ففيه « تنويه بشأن القرآن الكريم وشرفه وشرف وقت ابتداء نزوله ليكون ذلك مؤذناً أنه من عند الله ودالاً على رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وليتخلص منه إلى أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهاهم الاستهزاء واللمز عن التدبر »¹ .

وقد ورد الخبر الملقى إلى المخاطب إنكارياً لأنه موجه إلى قوم لم تفلح معهم الأدلة المعنوية ولا الحسية للتصديق بالرسالة .

وقد ورد القسم أيضاً في بداية سورة الزخرف: " حَمْ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (الزخرف 1، 2، 3) .

هـ - تأكيد الجملة الاسمية بـ " لكنّ " :

تفيد " لكنّ " الاستدراك والتأكيد معاً، وهي من أخوات " إنّ " تدخل على الجملة الاسمية فتنصب الأول وترفع الثاني ومن أمثلتها :

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 276/24 .

هـ - 1 - يقول تعالى: " قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (الجاثية 26) .

إن دلائل قدرة الخالق كثيرة وفي الآية تذكير بخلق الإنسان ابتداء، ثم إنَّ الذي قدر على الإحياء والإماتة لقادر على البعث والنشور، والأكد أنَّ أكثر الناس معرضون عن التدبر والتفكر في هذه الآيات، وقد ورد الكلام طلبيا مؤكد بـ " لكن " التي سبقت في معرض الإشارة إلى إعراضهم رغم الأدلة المادية التي يشاهدونها في خلق أنفسهم .

هـ - 2 - يقول تعالى: " وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ " (الشورى 27) .

وردت " لكن " مخففة وحكمها بطلان عملها وجاءت لتأكيد الامتناع لأنَّ " لو شرطية " تفيد الامتناع لامتناع، إذ لم تتحقق كل من جملة الشرط وهي (بسط الله الرزق لعباده) وجملة جواب الشرط (بغوا في الأرض) وهذا يقف دليلا على أن الله أعلم بخلقه وما تضرره أنفسهم، لذا فقد أنزل لهم من الرزق بقدر معلوم وختم بقوله: " إنه بعباده خبير بصير " لأنه لو « أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان ... ولكن ينزل أرزاق العباد بما تقتضيه الحكمة والمصلحة »¹ .

وسائر الآيات التي تضمنت هذا الأسلوب التوكيدي هي :

- غافر: 57، 59، 61 .

- فصلت: 22 .

- الشورى: 52 .

- الزخرف: 78 .

1- محمد الصابوني، صفوة التفاسير، 25 / 131 .

- الدخان: 39 .

- الجاثية: 26 .

- الأحقاف: 23 .

و - تأكيد الجملة الاسمية بـ " كَأَنَّ " : هي الأخرى حرف مشبه بالفعل ولا جدال في إفادتها التشبيه، أما التأكيد، فمفهوم من قولهم: «كَأَنَّ " أصلها " إِنَّ " قالوا " كَأَنَّ " مركب من كاف التشبيه وإنَّ، فأصل قولك: كَأَنَّ زيدا الأسد، إِنَّ زيدا كالأسد»¹.

أما مثالها في الحواميم فواحد، وذلك في قوله تعالى: " وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " (فصلت 34) .

أفاد الطباق بين الحسنة والسيئة بون ما بينها من اختلاف، والمراد بالحسنة « دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الدين الحق والصبر على جهالة الكفار، وترك الانتقام، وترك الالتفات إليهم، والمراد بالسيئة ما أظهره من الخلافة في قولهم (قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه) وما ذكره في قولهم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) ... »²، ثم أردف الكلام - عز وجل - بتشبيه مرسل بمحمل طرفه الأول الذي بينك وبينه عداوة وطرفه الثاني ولي حميم وكأنه قال: " إن الذي بينك وبينه . عداوة كولي حميم " فأفادت " كَأَنَّ " التوكيد مثلما لو كانت " إن " في الجملة . ومعناها أنك إن فعلت ذلك أي قابلت الخصلة السيئة بالخلصة الحسنة « صار عدوك كالصديق الخالص الصداقة في مودته ومحبته لك »³ .

ز - تأكيد الجملة الاسمية بـ " أَمَّا " :

1- عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 241 .

2- الفخر الرازي، التفسير الكبير، 127/27 .

3- محمد الصابوني، صفوة التفاسير، 114/26 .

تدخل " أمّا " على الجمل الاسمية فتخلص دلالتها إلى التوكيد وفائدتها في الكلام أنها تكسبه فصل تأكيد، تقول زيد ذاهب، فإذا قصدت أنه لا محالة ذاهب قلت: أما زيد فذهاب ¹ .

ومن أمثلتها قوله تعالى: " وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاَسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ " (الجاثية 31) .

تصدرت " أمّا " الجملة للتفصيل وبيان حال الكفار المكذبين فجاء الخبر طلبيا وجاء بعده استفهام أفاد التوبيخ والتقرير، في قوله: " أفلم تكن آياتي "، وهي: « مقول قول محذوف لظهور أن ذلك الخطاب صادر من متكلم من جانب الله تعالى فيقدر فيقال لهم: " ألم تكن آياتي تتلى عليكم "، فلما حذف فعل القول قدّم حرف الاستفهام على فاء الجواب اعتدادا باستحقاقه التصدير، كما يقدم الاستفهام على حروف العطف ² .

ولم تبعد الآية عن التأكيد على إعراض الكفار عن تدبر آيات الله ومقابلتها بالاستكبار بدل الاعتاض والرجوع من الضلال، ويردف ابن عاشور إشارة إلى قوله: " قوما " دون الاقتصار على: وكنتم مجرمين « للدلالة على أنّ الإجماع صار خلقا لهم وخالط نفوسهم حتى صار من مقومات قوميتهم» ³ .

وسائر الآيات التي وردت فيها هذه الأداة التوكيدية هي :

- يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَّ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ " (فصلت 15) .

ويقول أيضا: " وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (فصلت 17) .

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 4/242 .

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 371/24 .

3- المرجع نفسه، 371/24 .

- ويقول أيضا: " فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ " (الجاثية 30) .

والذي يمكن ملاحظته أنّ " أمّا " جاءت لتفصيل الذكر عن بعض الأقوام كعاد وثمود، أو لتبيان الفرق بين موقف المؤمنين والكفار من آي الذكر الحكيم .

ح - التأكيد بـ " ألا " :

هي من الأحرف التي تدخل على الجمل الفعلية والاسمية معا، ويمكن إيجاز وجهها الإعرابية في ستة إذا قد ترد « حرف استفتاح وتنبيه، حرف عرض (وهو الطلب برفق)، حرف تحضيض (وهو طلب بحث وشدة)، حرف توبيخ وإنكار، حرف استفهام عن نفي، حرف تمنّ بمعنى أتمنى »¹.

والمسوغ الذي دعانا إلى إدراج هذا الحرف ضمن مؤكّدات الجملة الاسمية هو أن أغلب ما جاء عليه في الحواميم دخوله على هذا النوع من الجمل .

أمّا إفادته التحقيق فمن جهة « تركيبها من الهمزة و " لا " وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النفي أفادت التحقيق، نحو: أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى » (القيامة 40)² .

ومن أمثلتها :

- قوله تعالى: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (الشورى 5) .

دخلت " ألا " على جملة اسمية تصدرتها " إنّ " المشددة وجاء بعدها ضمير فصل .

1- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995، 221، والتي بعدها .

2- عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 251 .

إذن فالخبر الملقى إلى المخاطب إنكاري لدفع الشك الذي قد يعتري المخاطب الذي بلغت ذنوبه حداً أيس من غفران ذنبه ورحمة مولاه، فجاء الكلام من البارئ قوياً بيناً ليحمله على الرجوع والإنابة والتوبة وطمأنة نفسه، إذ لا يغفر الذنوب جميعاً إلا هو عز وجل .

أما سائر الآيات التي حوت هذا العامل الحجاجي فهي :

- قوله تعالى: **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ^ط أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ** " (فصلت 54).

- ويقول أيضاً: **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا^ط وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ^ط أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** " (الشورى 18) .

- وقوله: **وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ^ط وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ^ط أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ** " (الشورى 45) .

أما ورودها في صدر جملة فعلية، فأياتها واحدة وهي قوله تعالى: " صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور " (الزخرف 53) .

3 - تأكيد بعض الجملة:

وهذا النوع من التأكيد مواضعه كثيرة في القرآن الكريم، ولا تستثني الحواميم منها، ويشمل التوكيد المعنوي واللفظي، والحال المؤكدة لعاملها وصاحبها، والنعت وضمير الفصل وحروف الصلة والبدل.

أ - التوكيد المعنوي: ذكرنا آنفا أنه نوعان: توكيد في النسبة وتوكيد في الشمول والثاني هو الموظف في الحواميم .

- يقول تعالى: إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ " (الدخان 40) .
- هذه الجملة نتيجة لما سبقها وهي قوله تعالى: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَإِعِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (الدخان 38، 39) .
- فإعراض وإنكار قوم فرعون وغيرهم من أقوام سينالون الجزاء يوم القضاء، وفي الجملة تأكيد الوعيد تصدرته " إِنَّ " وجاءت كلمة "أجمعين " « للتخصيص على الإحاطة والشمول أي موقات لجرائهم كلهم لا يفلت منه أحد منهم تقوية في الوعيد وتأيسا من الاستثناء »¹ .

والآيتين المتبقيتين واللتين وردتا بالعامل الحجاجي نفسه هما :

- يقول تعالى: وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ " (الزخرف 12) .
- ويقول أيضا: فَلَمَّا عَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ " (الزخرف 55) .

ب - التوكيد اللفظي: وله مسوغات كثيرة في الذكر الحكيم منها التقرير والتوبيخ كما في قوله تعالى: " فبأي آلاء ربكما تكذبان " والتعظيم والتهويل كما في سورة الحاقة (الآيتين 1، 2) والتأكيد كما في سورة التكاثر، الآيتين (3، 4) والإيحاء باليأس كما في سورة الكافرون والتحضيض كما في سورة غافر الآية 61، وغيرها من الأغراض التي تفهم من المقام¹ .

1- محمد الصابوني، صفوة التفاسير، 187/26 .

وآياته في الحواميم معدودة منها :

قوله -عزّ من قائل - : " وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ " (الأحقاف 26) ، فقد كرر النفي للتأكيد على أن الجاحدين لنعم الله لم يستدلوا على وجوده من الآيات التي بثها لهم، وهو خطاب لكفار مكة، ومن قبلها قال: « وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة »، ولكن " لم تنفعهم تلك الحواس أي نفع ولا دفعت عنهم شيئا من عذاب الله " ².

فتم نفي كل نعمة على حدة دون إجمال وذلك للتأكيد على أن السمع لم يستعمل في سماع الدلائل، والأبصار لم تستعمل في النظر والتدبر في تلك الآيات، أمّا الأفئدة فقد عميت عن طلب المعرفة والعلم الصحيح، إذن لتكرار النفي دواع استدعاها لسياق القرآني، لأن التوكيد في الأصل " تقوية للكلام السابق ورفع الاحتمال عنه بإعادة اللفظ الأول بعينه " ³.

ج - الحالة المؤكدة لعاملها وصاحبها :

والشرط غب هذا الشكل التوكيدي أن يكون جزءيها معرفتين لأن التأكيد إنما يكون للمعارف وكونهما جامدين لا مشتقين ولا في حكمهما ⁴.

ومثالها واحد في الحواميم، وهو قوله -، عزّ وجلّ - : « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الجاثية 13) .

1- ينظر: بلخير أرفيس، بلاغة التكرار في قصة موسى، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005 - 2006، 11، 16 .

2- ينظر: عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 331 .

3- أحمد مختار عمر، النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1984، 406 .

4- ينظر: عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 331 .

جاءت لفظة " جميعا " لتبيان أن التسخير كان بكل ما في السموات والأرض من منافع فالتأكيد كان على عظم النعمة التي وهبت للإنسان والفائدة منها جليلة: « كالشمس للضيء والمطر للشراب أو بعض أحواله: كالكواكب للاهتمام بها في ظلمات البر والبحر ، والشجر للاستظللال، والأنعام للركوب والحرث ونحو ذلك، وأمّا ما في السّموات والأرض ممّا لا يفيد النَّاسَ فغير مراد مثل الملائكة في السماء والأهوية المنحبة في باطن الأرض التي يأتي منها الزلزال ... »¹.

د - ضمير الفصل: وهو الذي يتوسط بين المبتدأ والخبر قبل دخول العوامل اللفظية وبعده إذا كان الخبر معرفة أو مضارعا له في امتناع دخول حرف التعريف عليه كأفعل من كذا ... ويسميه البصريون فصلا والكوفيون عمادا².

وله نماذج معدودة في الحواميم، منها قوله تعالى: « فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ » (الجاثية 30) .

افتتحت الآية ببيان حال المؤمنين " فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم رحمته " والتعبير بـ « يدخلهم في رحمته، شامل لما تتصوره النفس من أنواع الكرامة والنعيم إذ جعلت رحمة الله بمنزلة المكان يدخلونه »³.

وبعد ذكر مآل المؤمنين وهو السرور والنعيم أكدّ درجتهم بالجملة " ذلك هو الفوز المبين " تقريراً لمخالفة حالهم حال الكفار، لأن الآية التي بعدها وصفت سوء مآلهم ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (الجاثية 31) .

1- ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 337/24 .

2- ينظر المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، 341 .

3- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 371/24 .

فأدت الجملة التي ذكر فيها ضمير الفصل وظيفة حجاجية مهمة في تبيان الفرق بين منزلة المؤمنين ونظيرتها للمشركين .

وفيما يأتي إحصاء للآيات التي ورد فيها هذا العامل الحجاجي :

- غافر: 9، 20، 56 .
- فصلت: 15، 36 .
- الشورى: 5، 9، 22 .
- الزخرف: 64 .
- الدخان: 6، 49، 57 .

هـ - حروف الصلة أو الحروف الزائدة: أكثر الحروف الزائدة التي وظفت في الحواميم هي

الباء، ومن أمثلتها قوله تعالى: " ويوم يعرض الذين كفروا على النار، أليس هذا بالحق، قالوا بلى وربنا قال: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون " (الأحقاف 34) .

الآية عند تأملها يجد البارئ استعمال الحوار كطريقة من طرق الجدل لإفحام الخصم وإسكاته وإثبات أن عقوبته كانت نتيجة تكذيبه وتكبره في الدنيا وإعراضه عن الحق، وهذه الآيات ففيها وعيد للكفار لردّهم وزجرهم عمّا يفعلون، ودخلت الباء في قوله: " أليس هذا بالحق " لتزيد من القيمة الحجاجية للجملة التي تضاف استفهاما يراد منه التأكيد إذ « يقال لهم أما هذا حق ؟ ! أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ ! »¹.

1- ابن كثير، تفسير ابن كثير، 307/6 .

ومن حروف الصلة الموظفة أيضا الكاف في قوله: فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى 11) .

أولت الآية عند المفسرين تأويلات كثيرة وأخرجوا لقوله تعالى: " ليس كمثلها شيء " تخریجات عديدة لا يسع المقام لذكرها، ولكن ذهب الزركشي أنه يحتمل أن يراد بالمثل الصفة وذلك سائغ فيكون المعنى ليس كمثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره، وهذا محمل سهل¹.

وأكثرهم اتفق على أن الكاف قد زيدت لتأكيد هذا المعنى، وهو انتقاء أن يكون لأحد المخلوقات صفة تشبه صفاته تعالى، والتأكيد بالكاف حماية للعقل من أن يتصور أو يتجرأ على التفكير أنه - عز وجل - يمتلك صفات تشبه صفات الخلائق فتعالى الله عما يصفون .

والآيات التي حوت هذا العامل الحجاجي معدودة هي :

- فصلت: 34، 46، 47 .
- الشورى: 6، 31 .
- الدخان: 35 .
- الجاثية: 32 .
- الاحقاف: 26، 31، 32، 34 .

و - البدل :

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 140/4 .

مثاله واحد ووحيد في الحواميم، وهو قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ" (الشورى 52، 53) .

الخطاب في قوله: (إنك) موجه للرسول - صلى الله عليه وسلم - « فبين تعالى أن القرآن يهدي فكذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - يهدي »¹، المقصود نهدي به من نشاء بدعوتك ووساطتك فلما أثبت الهدى إلى الله وجعل الكتاب سبيلا لتحصيل الهداية عطف عليه وساطة الرسول - صلى الله عليه وسلم -² في إيصال ذلك الهدى تنويها بشأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي قوله: " لتهدي " تم حذف المفعول به لتبيين أن الهداية عامة لجميع الناس وجاءت جملة " صراط الله " بدلا من جملة " صراط مستقيم " لتبينها وتزيل عنها الغموض، وهذه وظيفة البديل، وما يلاحظ أنه أدى وظيفة حجاجية مهمة للتأكيد على أن لا صراط مستقيم عدا صراط الله، ف " عدل عن إضافة صراط إلى اسم الجلالة ابتداء لقصد الإجمال الذي يعقبه التفصيل "³ .

وهذه طريقة منطقية في عرض الأفكار هدفها الإقناع والانتقال بالعقل من العام إلى الخاص ومن الإجمال غالى التفصيل للتدرج المنطقي في عرض المعاني .

ز - التتبع :

1- الرازي، التفسير الكبير، 191/27 .

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 154/24 .

3- المرجع نفسه، 155/24 .

أمثلة النعت معدودة في الحواميم، وسنختار منها نموذجاً واحداً للدراسة وهو قوله تعالى: يَغْشَى-
الْأَنَاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ " (الدخان 11) .

جاءت الآية في معرض وعد الله رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - بالانتقام من المكذبين
ووعيد المشركين على نكراهم دلائل وحدانيته وربوبيته الإله بالأدلة الحسية التي لا مرء فيها .

وقد سبق ذكر سبب نزولها وهو دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على كفار قريش بسنين
كسنيين يوسف وأصابعهم ما أصابعهم من عذاب، وعندما فرج الله كرههم رجعوا إلى ما كانوا عليه من كفر
وتكذيب¹ .

وجاءت كلمة " أليم " صفة تؤكد الموصوف " عذاب " ففي الأولى دلالة على سوء العقوبة،
وأضاف النعت للمعنى زيادة تأكيد على حجم الواقعة وأنهم ذاقوا عذاباً أثر فيهم ولآلمهم، وهذه الجملة
تخريجان يوجزهما ابن عاشور بقوله: « وقوله " عذاب أليم قال ابن عطية يجوز أن يكون إخبار من جانب
الله تعالى تعجباً منه كما في قوله تعالى في قصة الذبيح " إن هذا هو البلاء المبين " ويحتمل أن يكون
ذلك من قول الناس الذين يغشاهم العذاب بتقدير يقولون هذا عذاب أليم² وفي الحالتين تهويل لما
ذاقوه من شدة وطأة العذاب .

والآيات الباقية التي تضمنت الصفة هي:

- فصلت: 27، 43 .
- الشورى: 16، 21، 22، 26، 42 .
- الزخرف: 65، 73 .
- الجاثية: 8، 11 .

1- المرجع السابق، 155/24 .

2- ينظر: السيوطي، لباب القول في أسباب النزول، 254 .

- الاحقاف: 31 .

4 - القصر:

القصر في الحواميم شائع لأنه من أقوى العوامل الحجاجية التي تستخدم « ضمن سياق استدلالي يمكن اعتباره حجة تقود إلى نتيجة يريد المتكلم من المخاطب التسليم بها »¹، وانطلاقاً من هذا الكلام نلج إلى قوله تعالى: مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ " (الاحقاف 3) .

ففي الآية قصر بالنفي والاستثناء وهو من أقوى الأنواع للتأكيد ها هنا على عدم عبثية خلق السموات والأرض وما بينهما وإثبات للوحدانية والبعث والجزاء .

« فجعل خلق السموات والأرض محل اتفاق وترتب عليه أنه ما كان ذلك الخلق إلا ملابسا للحق وتقتضي ملابسته للحق أنه لا يكون خلقاً عبثاً، بل هو دال على أنه يعقبه جزاء على ما يفعل المخلوقون»²، إذن يمكن إيجاز ما ذهب إليه ابن عاشور وفق الاستدلال الآتي :

المقدمة الأولى: خلق السموات والأرض .

المقدمة الثانية: خلق السموات والأرض حق .

النتيجة: الخلق ليس عبثاً بل يعقبه جزاء وحساب .

إذن رأينا من خلال هذا الجانب التطبيقي من الدراسة أن لأسلوب التوكيد قيمة حجاجية كبيرة، إذ يتوجه به المتكلم إلى المخاطب لإقناعه وتغييرا اعتقاده .

وجاء في الحواميم وفق كل أشكاله تقريباً، فأكدت الجملتين: الاسمية والفعلية .

1- محمود طلحة، "القيمة الحجاجية لاسلوب التوكيد في الخطاب القرآني"، 120 .

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 7/24 .

كما أكد بعض الجملة، وورد في الخبر المثبت كما جاء في الخبر المنفي وجاء في الأسلوبين الخبري والإنشائي مما يعني أنه عامل حجاجي يستعمل في مقام تواصلية ويستعان به كأداة تريد من قوة وقيمة الجملة حجاجيا .

ولاحظنا من خلال هذا الفصل أنّ أشكالا توكيدية أكثر استعمالا وتوظيفا من أشكال أخرى، كالتأكيد بـ " إنّ " و " أن " و " ألا " و " لكن " والحروف الزائدة والتوكيد بالنعته، وسجلنا غياب أشكال توكيدية أخرى كتأكيد الفعل المضارع بـ لام الجحود والمصدر المؤكد لعامله .

وجدير بالملاحظة أيضا أن هناك بعض الأشكال التوكيدية أقوى من حيث القيمة الحجاجية من أخرى وذلك بالنظر إلى السياقات التي وردت فيها مثل التأكيد بالقصر والقسم وتأكيد الجملة الاسمية بـ " إنّ " و " أن " .

الحيـاة

الخاتمة:

إلى هنا يكون البحث قد استوفى فصوله بعد هذه الرحلة المتواضعة في اكتشاف قيمة التوكيد الحجاجية من خلال سور الحواميم، وكيف لا نصفها كذلك ونحن نواجه براعة كلام الخالق وإعجازه. وما أطيبها من ساعات قضيتها في رحاب القرآن أستكنه بعض معانيه واكتشف النّزr اليسير من أسرارهِ.

وفيما يأتي إجمال لما استخلصته من نتائج في هذا البحث :

أولاً: - أثرى الدرس اللّغوي الغربي النّظرية الحجاجية التي تمتدّ إلى اليونان، وفي العصر الحديث تلاقت عدّة تيارات لتضيف لهذه النّظرية، فجاءت أعمال " سورل " و " ديكرول " حول العوامل الحجاجية والأفعال الكلامية لتنوّه بالقدرة التأثيرية الإقناعية في اللغة .

- لا يخلو الدرس اللّغوي العربيّ من إشارات حجاجية خاصّة عند علماء البلاغة الذين أشاروا في علم المعاني - مثلاً - إلى علاقة الأسلوب الخبريّ بالمقام الذي يهدف من خلاله المتكلم إلى إقناع المخاطب وتوجيه رأيه .

ثانياً: - توزّع أسلوب التوكيد بين علمي البلاغة والنّحو وجاءت أشكاله وأنماطه كثيرة ومتفرّقة ويتداخل مع العديد من المواضيع، ولم يتناول في باب مستقل.

- عالج اللّغويّون التوكيد قديماً وحديثاً، والملاحظ أنّ أبحاث لغويّينا المحدثين جاءت شرحاً وإيضاحاً لما توصّل إليه القدماء من نتائج، وهم وإن أشاروا إلى تشعّب هذا الموضوع في كتب الأولين إلّا أنّ النّزr اليسير منهم من أفرد له باباً مستقلاً به فعالج أنماطه وأشكاله بدقّة ومن بين هؤلاء: عبد الرحمن المطردي من خلال كتابه "أسلوب التوكيد في القرآن الكريم" .

- يولي أسلوب التوكيد أهميّة لارتباط الجملة بالسياق الذي ترد فيه، فقد قسم البلاغيّون أضرب الخبر إلى ثلاثة أنواع بالنّظر إلى حال المخاطب، فإن كان خالي الذّهن ألقي إليه الخبر خالياً من

المؤكدات وسمي ابتدائيًا، وإن كان مترددًا في قبوله أكدّه له بمؤكّد واحد وسمي الخبر الملقى إليه طلبيًا، وإن كان منكرا أكدّ بمؤكّد أو أكثر وسمي خبرا إنكاريًا .

ثالثًا: - زحرت سور الحواميم بأشكال التوكيد على اختلافها لأنّها من السور المكّيّة التي تمحور موضوعها حول الدّفاع عن صدق الرّسالة وتثبيت أمور العقيدة في نفوس النّاس فكان المقام يقتضي هذا النّوع من الأساليب .

- أسلوب التّوكيد عامل حجاجي مهمّ يستعمله المتكلّم لإقناع المخاطب بصدق خبر ما ويهدف إلى التّأثير فيه.

- استعمل أسلوب التّوكيد - في أغلبه - في سياق تواصلٍ يتوجّه فيه الباثّ إلى المتلقي برسالة كلاميّة .

- يوجد تراتب في قيم أسلوب التّوكيد ودلالته الحجاجيّة، إذ يستلزم مقام المنكر استعمال حجج أقوى من سياق المخاطب المتردد في قبول الخبر .

و أخيرا أقول: إنّي وجدت في لغة القرآن زخما معرفيًا وجماليًا لا نظير له، وحزّ في نفسي أنّي اكتفيت بالإشارة إلى بعض المعاني في موضوع وتركت بعضها، ليس غفلة ولكن لتشعب الدّراسة وضيق المقام، وحسي المحاولة مخلصة.

وأرجو أن يثري هذا البحث الدّراسات اللّغويّة الحديثة، ويكون المنطلق لغيري من البحّاث في التنقيب عن الجديد أو تقويم ما كان فيه اعوجاج وهي سمة في البشر منذ الأزل .

قائمة المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع :

أولاً: المصدر:

- القرآن الكريم، بروية حفص عن عاصم، دار الجوزي، القاهرة .

ثانياً: قائمة المراجع .

I - التفاسير :

1) ابن عاشور (محمد الطاهر بن عاشور)، تفسير التحرير والتنوير، ج24، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، الجزائر، 1984.

2) ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت .

3) ابن قتبية (أبو محمد عبد الله بن مسلم)، تفسير غريب القرآن، ت: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978 .

4) ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل)، تفسير ابن كثير، ج6، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1966.

5) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان.

6) السيوطي (جلال الدين) والواحدي (جلال الدين محمد)، تفسير الجلالين، ت: صبري محمد موسى ومحمد فايز كامل، دار الخير، بيروت، ط1، 2001 .

7) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج27، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، دت.

8) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج25، دار الجليل، بيروت، لبنان، دط، دت .

II - مراجع مختلفة :

9) إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجليل، بيروت، ط1، 1995.

- 10) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003.
- 11) ابن الحاجب، الأمالي، ت: قصي الحسين، دار الهلال، بيروت، ط1، 1998 .
- 12) ابن جني، الخصائص، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دط، دت .
- 13) ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد)، الإحكام في أصول الأحكام، م1، دار الآفاق، بيروت، 1983 .
- 14) ابن سراج (أبو بكر)، الأصول في النحو، ت: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1996 .
- 15) ابن عقيل (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن)، شرح ابن عقيل، ت: ح فخور، دار الجيل، بيروت، ط5، 1997 .
- 16) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 .
- 17) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم)، لسان العرب، م1، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1955 .
- 18) ابن هشام، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ت: محمد محي الدين عبد المجيد، دار الأنصار، مصر، ط15، 1978 .
- 19) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ت: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2007 .
- 20) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ت: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001 .
- 21) أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ت: عبد المجيد تركي، بيروت، ط3، 2001 .
- 22) أبو علي الفارسي، المسائل المنثورة، ت: مصطفى الحدري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986 .
- 23) أحمد مختار عمر، النحو الأساسي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1984.

- 24) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2007 .
- 25) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مؤسسة ناشرون، بيروت، لبنان، دط، 2000 .
- 26) الأخفش الأوسط، معاني القرآن، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002 .
- 27) أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويتية ودار القلم، بيروت، 1979.
- 28) الاسترأبادي (رضي الدين)، شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، د ت.
- 29) آل روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .
- 30) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991 .
- 31) باتريك شارودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب، تر: أحمد الود، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009 .
- 32) بكري شيخ أحمد، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، بيروت، لبنان، ط3، 2004.
- 33) التفتازاني (سعد الدين)، المطوّل (شرح تلخيص المفتاح)، ت: عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007 .
- 34) التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ت: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998 .
- 35) الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، القاهرة، دت .

36) الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، ت: ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط1، 2007 .

37) الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز ت: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007 .

38) الجرجاني (علي بن محمد)، الجرجاني، التعريفات، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1996 .

39) الجرجاني (محمد بن علي بن محمد)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ت: عبد القادر حسين مكتبة الآداب، مصر، 1997 .

40) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، دط، 1982 .

41) حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، ج1/ج2، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2010 .

42) حبيب مغنية، الوافي في النحو والصرف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 2004 .

43) حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب، تونس، دت .

44) حمو النقاري، التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006 .

45) الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شعيثو، مكتبة الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1987 .

46) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، مكتبة النهضة، بغداد، العراق .

47) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009 .

48) خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة، الجزائر، ط2، 2006 .

49) الرازي (محمد بن أبي بكر)، مختار الصحاح، ت: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990 .

50) روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر: خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت .

51) الزركشي (بدر الدين)، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006 .

52) الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، دت، دت.

53) السبكي (بهاء الدين أحمد بن علي)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001 .

54) السكاكي (سراج الدين يوسف بن أبي بكر)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، لبنان، دت، دت .

55) سيوييه، الكتاب، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط1 .

56) السيوطي (جلال الدين)، لباب النقول في أسباب النزول، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

57) السيوطي (جلال الدين)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988 .

58) السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ت: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر .

59) صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دمشق، سوريا، ط1، 2000 .

60) صبيح التميمي، هداية السالك إلى ألفية ابن مالك، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 1998 .

61) طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، دت .

- 62 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998 .
- 63 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000 .
- 64 عبد الرحمن المطردي، أساليب التوكيد في القرآن الكريم، الدار الجماهيرية، ط1، 1986 .
- 65 عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية: أسسها، وعلومها وفنونها، دار القلم والدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1996 .
- 66 عبد العظيم إبراهيم محمد المطمعي، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبه، القاهرة، ط1، 1992 .
- 67 عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000 .
- 68 عبد الله مزهود وزهير مصطفى اليازجي، شرح المعلقات العشر، دار القلم، حلب، سوريا، ط1، 1998 .
- 69 عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العالية، علم المعاني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط3، 2002 .
- 70 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 .
- 71 عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، جامعة الإسكندرية، دط، دت .
- 72 علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، دار الأمل، إربد، الأردن، ط3، 1993 .
- 73 عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن 3 هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 .

74) الغزالي (أبو حامد)، المستصفى في علم الأصول، ت: محمد عبد السلام عبد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت .

75) فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، 2007.

76) فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دت .

77) فليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007 .

78) الكفوي (أبو البقاء)، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق الفردية)، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1989 .

79) محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، القرآن، دار الفكر العربي، دط، دت .

80) محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، الشركة الدولية للطباعة القاهرة، مصر، ط1، 2002 .

81) محمد سالم محمد أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2008 .

82) محمود السيد حسن، المعاني اللغوية في الآداب القرآنية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2004 .

83) المرادي (الحسن بن قاسم)، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992 .

84) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2008 .

85) مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ت: علي سليمان بشارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2004 .

86) مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1999 .

87) موسى إبراهيم الإبراهيم، بحوث منهجية في علوم القرآن الكريم، دار عمار، عمان، الأردن، 1996 .

III - الرسائل الجامعية :

88) بلخير أرفيس، بلاغة التكرار في قصة موسى، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2005 / 2006 .

89) رشيد سلهاط، الاستدلال الفقهي - دراسة تحليلية - مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر - باتنة - 2005 / 2006 .

90) الشريف ميهوبي، بناء الجملة الخبرية في شعر أبي فراس الحمداني، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، 1988 .

91) عائشة عبيزة، دراسة وظيفية لأسلوب التوكيد في القرآن الكريم، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008 / 2009 .

IV - الدوريات :

92) الخطاب، ع3، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة تيزي وزو، ماي 2008 .

93) دراسات أدبية، ع1، مركز البصيرة، الجزائر، ماي، 2008 .

V - مراجع باللغة الفرنسية :

94) André Martinet, éléments de linguistique générale, Armand Colin , 4ème édition, Paris, 1999.

- 95) Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, Edition Talantiki .Bejaïa, 2002 .
- 96) Gilles Siouffi et Dan Van Raemdonck, 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal édition , 1999.
- 97) J. L. AUSTIN, How to do things with words, Oxford university press, London, 1962.
- 98) Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Bordas, 1999.
- 99) Philippe Breton, L'argumentation dans la communication, 3ème éd, Repères.

المـارس العامة

أ - ب	المقدمة
-------	---------------

الفصل الأول:

الحجاج بين المدرسين العربي والغربي

07	أولاً: مفهوم التداولية
13	ثانياً: مفهوم الحجاج
13	1 - الدلالة المعجمية
15	2 - الدلالة الاصطلاحية
18	3 - الحجاج والبرهان
20	ثالثاً: الحجاج في التراث اليوناني
25	رابعاً: الدرس الحجاجي عند العرب
26	1 - بنية البرهان عند العرب
28	2 - الحجاج في التراث البلاغي العربي
29	3 - بين الجدل والحجاج
31	خامساً: البلاغة الجديدة
32	1 - السلم الحجاجي وقوانينه
35	2 - الروابط والعوامل الحجاجية

الفصل الثاني:

أسلوب التوكيد في الدراسات القديمة والحديثة

39	أولاً: مفهوم التوكيد
39	1 - لغة
40	2 - اصطلاحاً
42	ثانياً: تقسيم الأساليب البلاغية في اللغة العربية بحسب سياقات الكلام
43	1 - الأسلوب الخبري
47	2 - الأسلوب الإنشائي

50		ثالثا: أثر التوبيب النحوي في دراسة أسلوب التوكيد
51		1 - الاتفاق اللفظي بين التوكيد وبقية التوابع
52		2 - الاختلاف بين التوكيد وبقية التوابع
54		رابعا: أسلوب التوكيد في الدراسات القديمة
54		1 - أسلوب التوكيد من خلال الدرس النحوي
64		2 - أسلوب التوكيد من خلال الدرس البلاغي
71		خامسا: أسلوب التوكيد في الدراسات الحديثة

الفصل الثالث:

حجاجة أسلوب التوكيد في سور الحوا ميم

81		أولا: التعريف بالحوا ميم
83		ثانيا: القيمة الحجاجة لأشكال التوكيد
83		1 - توكيد الجملة الفعلية
91		2 - توكيد الجملة الاسمية
104		3 - توكيد بعض الجملة
111		4 - التوكيد بالقصر
114		الخاتمة
117		المصادر والمراجع
127		الفهرس